


## منهجه ووسائله فى التربية الأخلاقية

الدكتور
**محمد جمعه عبد الله**
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ٢٠٠٢ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشـــر
**المكتبة الأزهرية للتراث**
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف
ت : ٥١٢٠٨٤٧

# المقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ذى الجلال والإكرام ، والخير والإنعام على جميع الأنام ، الذى أحاط بكل شىء علما ، ووسع كل شىء رحمة وفضلا ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ، صاحب الخلق العظيم ، والمبعوث رحمة للعالمين ، ورسولا إلى الناس أجمعين .

وبعد ،،،

فلما كانت الأخلاق الكريمة — وهى حسن المعاملة مع الله وخلقه — قوام الرسالات السماوية ، والتخلق بها سبب رقى الأمم ، وعزها وسعادتها فى الدنيا والآخرة ، وبها وصل أصحاب النبى — رضى الله عنهم — ومن تبعهم بإحسان إلى ذروة المجد والكمال فى كل مجال ، حتى شهد لهم ربهم بذلك فقال تعالى : **( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )**[1] .

ولما كانت الأمم إنما تسمو وترق ، وتحافظ على مجدها وعزها بأخلاقها الكريمة ، وسجاياها الحميدة ، وتنحدر إلى الهاوية والهلاك إذا تخلت عن كريم الأخلاق ، وجميل الصفات ، كما قال تعالى : **( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا )**[2] . وعبر عن ذلك أمير الشعراء فقال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولما كان صرح مكارم الأخلاق الذى بعث من أجله رسل الله قد انهار أو ضعف عند كثير من الأمم الإسلامية فى العصور المتأخرة لأسباب يأتى بيان بعضها ، فتخلت عن مراكز السيادة والقيادة لغيرها .

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١٦ .

رأيت وجوب دعوتهم إلى السير فى طريق سلفهم ، والتخلق بأخلاقهم ، حتى يعود إليهم مجدهم وعزهم ، وإن ذلك سهل ميسور متى انعقدت النية وصدقت الطوية واقترنت العزيمة بالعمل .

وحيث إن الأمة الإسلامية حين استجابت لنداء ربها فى الماضى حملت لواء الإنسانية وقادتها إلى مواقع الأمن والطمأنينة ، والأخلاق النبيلة ، والحياة الهنيئة السعيدة ، فلماذا لا نحمله كما حملوه ؟ فنتمسك بالأخلاق الكريمة ، ونتحلى بالخلال الحميدة ، ونعيد سيرتنا الأولى التى كان عليها سلفنا الصالح ، ونستجيب لنداء الله الذى يحثنا على السير فى طريق سلفنا — حتى نعز كما عزوا ، ونحظى بحياة هنيئة كريمة فى دنيانا وأخرانا — فيقول : ( **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** )[1]

وترغيباً فى سلوك هذا الطريق — طريق مكارم الأخلاق — وتيسيراً للسير فيه ، وتشويقاً فى الوصول إلى كماله ، والفوز بخيره ألفت كتابى : ( القرآن الكريم : منهجه ووسائله فى التربية الأخلاقية ) الذى اشتمل على تمهيد ، وخمسة فصول .

فذكرت فى التمهيد معنى الأخلاق ، ومنزلة مكارم الأخلاق فى الإسلام ، وأسباب ضعفها ، وفى الفصل الأول ذكرت المؤثرات فى الأخلاق ، حميدها وذميمها ، قوة وضعفا ، وفى الثانى بينت منهج القرآن فى التربية الأخلاقية ، وفى الثالث ذكرت وسائل إكتساب مكارم الأخلاق ، وفى الرابع تحدثت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يتعلق بهما ، وفى الخامس ذكرت طائفة من مكارم الأخلاق وثمراتها ، ومن الله تعالى أستمد العون والتوفيق ، وهو حسبى ونعم الوكيل ،،،،

**د. محمد جمعة عبد الله**

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٤ .

# التمهـــيد
## وبـــه ثـلاثـة مبـاحـــث

١ - معنى الأخلاق .
٢ - منزلة مكارم الأخلاق فى الإسلام .
٣ - أسباب ضعف الأخلاق .

# معنى الأخلاق

الأخلاق جمع خلق ، ومرد معناه فى اللغة العربية إلى معنى العادة . فصاحب لسان العرب يقول : واشتقاق خليق ، وما أخلقه من الخلاقة ، وهى التمرين ، من ذلك نقول للذى ألف شيئا : صار ذلك له خلقا ، أى مرن عليه ، ومن ذلك الخلق الحسن .

وفى مفردات الراغب : وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، قال تعالى : ( **وإنك لعلى خلق عظيم** )[١] وقرئ ( **إن هذا إلا خُلُق الأولين**[٢] )[٣] والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه ، قال تعالى : ( **وما له فى الآخرة من خلاق**[٤] )[٥] وفلان خليق بكذا ، أى كأنه مخلوق فيه ذلك ، كقولك مجبول على كذا ، أو مدعُوٌّ إليه من جهة الخَلق . وعرف الخلق أيضاً : بأنه صفة نفسية تصدر عنها الأفعال بسهولة ، سواء كانت حميدة أم ذميمة .

وعرفه الغزالى : بأنه هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا[٦] .

ومن هذا نعرف أن الخلق نوعان : محمود كالصدق والأمانة ، ومذموم كالكذب والخيانة وندرك أن الخلق منه جبلى ، ومنه مكتسب ، ويدل على ذلك قوله ﷺ لأشج عبد القيس : ( **إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة** ) رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما[٧] ، **قال : يا رسول الله . كانا فىّ أم حدثا ؟ قال : ( بل قديم ) . قال : قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين**

(١) سورة القلم آية : ٤ .
(٢) عادتهم .
(٣) سورة الشعراء آية : ١٣٧ .
(٤) نصيب من الخير .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٠ .
(٦) الإحياء ٣ / ٥٢ .
(٧) ق ١ / ١٨٩ .

**يحبهما** ) رواه أبو يعلى فى مسنده ، وغيره[1] ، **وقول ابن مسكويه**[2] : الخلق : حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال إما طبعية من أصل المزاج : كالغضب لأوهى الأسباب ، والفزع من ضعيف الأصوات والحزن على تافه الأشياء ، .

وإما مستفادة بالعادة والتدريب . حتى صارت ملكة وخلقا كشجاعة البدو وبأسهم المستفادين من تفردهم عن المجتمع ، ومساكنتهم الوحوش والضوارى . ا . هـ

تكوين الخلق من الناحية النفسية : يبدأ الخلق ميلا ضعيفا . ثم يشتد فيصير رغبة أو نية أو مرجوا ، ثم إرادة راسخة فى النفس ، فخلقا تصدر عنه الأعمال بيسر من غير حاجة إلى تفكير .

## منزلة مكارم الأخلاق فى الإسلام

للأخلاق الكريمة فى الإسلام أفضل المنازل وأسماها ، وأقربها إلى رحمة الله وأدناها إلى بره ورضوانه ، ويدل على ذلك ما يأتى :

١ – أن التخلق بالأخلاق الكريمة ، والتحلى بالصفات الحميدة أصل دعوة الرسل وأساسها ، والحكمة من إرسالهم ، قال تعالى : ( **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** )[3] .

فالتزكية تطهير النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وذلك بأمرين :

( أ ) بيان ما للأخلاق الكريمة من مزايا وآثار حميدة تعود على الفرد والمجتمع بالخير والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وهى الطريقة الوحيدة التى يعتمد عليها دعاة الإسلام والقائمون بنشره .

(١) شرح النووى على مسلم فى ١ / ١٨٩ .
(٢) المتوفى سنة ٤٢١ هـ فى كتابه تهذيب الأخلاق ٢٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .

( ب ) ضرب المثل العملية فى الأخلاق الفاضلة ليحس الناس آثارها ويرونها بأعينهم فتنفعل بها نفوسهم ، ويتسابقون إلى التحلى بها والانتفاع بآثارها ، وهذا هو الطريق الحكيم الذى سلكه الرسول الكريم أثناء دعوته فى تزكية النفوس وتقويم الأخلاق .

ولذا قال ﷺ ( **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** ) رواه أحمد عن أبى هريرة[1] .

وقال ﷺ ( **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ) رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة[2] . وقد بعث ﷺ بمكارم الأخلاق وغيرها من أصول الدين وفروعه ، والتنصيص على الأخلاق الصالحة ، بالذكر لبيان أهميتها وجلال شأنها لتوقف إصلاح الأمة عليها أفراداً وجماعات وفى هذا الحديث بيان واضح بأن مكارم الأخلاق هى دعوة المرسلين أجمعين ، وكل نبى ساهم فى بناء صرح مكارم الأخلاق الشامخ الذى يُخرّج الأمم الفاضلة وتقوم عليه الحضارات الزاهرة . ولقد جاء النبى ﷺ من بعدهم فأتم ما بدأوا ، والانحلال الاجتماعى الواقع فى هذا العالم اليوم إنما وقع لأن علاقات الأفراد والجماعات والدول قد ذهبت منها الفضيلة والأخلاق النبيلة .

٢ – أن الأخلاق الكريمة عنوان الشريعة المحمدية وقوامها وغايتها وغرضها ، وبها وصلت هذه الأمة إلى قمة المجد وذروة السؤدد فى الدنيا ، وإلى الفردوس الأعلى فى الآخرة ، قال تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** )[3] وقال ﷺ : ( **إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم والقائم** ) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها[4] ، وقال : ( **إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة**

(١) كنوز الحقائق ٣٤ .
(٢) تعليق العراق على الإحياء ٢ / ١٥٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠.
(٤) الترغيب ٣ / ١٦٨ .

**الثرثارون**[1] **والمتشدقون**[2] **والمتفيهقون )** قالوا : يا رسول الله ، ما المتفيهقون ؟[3] **قال : ( المتكبرون )** رواه الترمذى عن جابر (ض) وقال : حديث حسن .
وقال ﷺ : ( **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لأهله** ) أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة[4] .

٣ – وأنه يكفى الأخلاق الكريمة شرفا وفضلا أن الحكمة من تشريع القرآن هى الوصول إلى مكارم الأخلاق ، وهى حسن المعاملة مع الخالق والمخلوق ، وذلك واضح حتى فى سور القرآن القصيرة كسورة ( **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ) حيث بين الله فيها أن فلاح الإنسان وكماله منوط بسلامة عقيدته ، وصلاح أعماله وجمال أخلاقه .

وتأمل جميع العبادات التى جاء بها الإسلام تجد أن الحكمة منها هى غرس مكارم الأخلاق كما سبق ذلك مفصلا فى فصول الباب السابق ، ويأتى مزيد منه فى وسائل اكتساب الأخلاق .

٤ – أن القرآن يقرر أن صلاح أى مجتمع وفساده منوطان بما تكون عليه أخلاق أفراده ونفوسهم من صلاح وفساد ، وأن فساد المجتمعات كثيرا ما ينشأ من فساد أكابره وزعمائه الذين هم القدوة لأفراده ، ويحملهم الله مسئولية هذا الفساد كما قال تعالى : ( **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** )[5] .

وكما قال : ( **وكذلك جعلنا فى كل قرية آكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون**

(١) كثيرو الكلام تكلفا .
(٢) المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه .
(٣) أصله من الفهق وهو الامتلاء . وهو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا وإظهارا للفضيلة على غيره .
(٤) تيسير ١ / ٣١٥ .
(٥) سورة الإسراء آية : ١٦ .

**إلا بأنفسهم وما يشعرون** )[1] .

٥ – وأنه لا إيمان ولا إسلام لمن لا أخلاق له ، قال تعالى : ( **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** )[2] . وقال ﷺ : ( **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه** ) رواه الخمسة إلا الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وهذا لفظ البخارى[3] .

وقال : ( **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم** ) أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة (ض)[4] . وقال ﷺ : ( **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** ) رواه الشيخان عن عبد الله ابن مسعود[5] .

٦ – وأن التخلق بالأخلاق الكريمة والتحلى بالصفات الحميدة قوام الدولة الفاضلة المحافظة على كيانها واستقلالها ومن دعائم نصرها على أعدائها قال تعالى : ( **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** )[6] .

٧ – أن الأخلاق الفاضلة التى جاء بها القرآن تحفظ على الآدمى كرامته فتحضه على عدم قبول بغى الغير وعدوانه . قال تعالى : ( **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين** )[7] . فمن ترك نفسه للظالم فهو كمن ظلم غيره على حد سواء ، فالإسلام لا يعتبر التجاوز عن الحق ممدوحا إن كان عن عجز وقصور . فإن تعبيره يقتضى القدرة على المجازاة ، إذ لا يعفو إلا القادر وإنه لا يكتفى

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٣ .
(٢) أول سورة الأنفال .
(٣) تيسير ١ / ١٨ .
(٤) نفس المصدر .
(٥) اللؤلؤ ١ / ١٣ .
(٦) سورة الحج آية : ٤٠ ، ٤١ .
(٧) سورة الشورى آية : ٣٩ ، ٤٠ .

بهذا ، بل يذهب إلى عدم قبول الاعتذار بالضعف متى كان التخلص من الظلم ممكنا ، فيقول تعالى فى قوم هالكين : ( **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** )[1] .

٨ – أنها تأمر بالتعاون على جلب الخير ، وعمارة الأرض ، وهناءة الحياة ، وعلى دفع الشر ومحاربة الفساد قال تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله** )[2] .

كما تأمر بالمودة والبر والعدل لجميع أمم الأرض ماداموا لم يعتدوا علينا ، قال تعالى : ( **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** )[3] . وذلك أساس البناء القويم الذى تسعد به الأسرة والدولة والمجتمع الإنسانى كله . مهما اختلفت لغاته وتباينت أوطانه .

٩ – الأخلاق الكريمة من أهم عوامل إصلاح المجتمعات ورقيها وهناءتها وسعادتها ، ولا أدل على ذلك من أن العرب والعالم كله قبل الإسلام كانوا فى فساد خلقى ، حيث تحولت الديانة اليهودية إلى مادية صرفة يضرب بعضها بعضا من أجل ذلك وغلب على المسيحية التمزق والتفرق بسبب الاختلافات العقائدية ، والانقسامات المذهبية ، وسيطر الشر والفساد على جميع أمم الأرض .

فجاء الإسلام بأخلاقه الكريمة ، وفضائله النبيلة . وصبغ من أجاب دعوته بها ، ونقاهم من الشرور والآثام وصنعهم حسب تعاليمه وتشريعاته حتى جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فدانت لهم أمم الأرض ، واعترفت لهم بالخير والفضل .

(١) سورة النساء آية : ٩٧ : ٩٩ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ٨ .

١٠ - أن أخلاق القرآن هى التى صنعت من أمة محمد ﷺ مجتمعا فاضلا متعاطفا فى السراء والضراء ، ومتضامنا فى الشدة والرخاء ، ومتعاونا على البر والتقوى ، ومتباعدا عن الإثم والعدوان ، وأعطت منهم الصورة الصادقة للمؤمنين حقا ، التى عبر عنها الرسول ﷺ بقوله : ( **ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى** ) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير[1] .

١١ - أن الأخلاق الكريمة التى جاء بها القرآن هى التى جعلت الإسلام دين عزة لا ذل ، وقوة لا ضعف ، وعدل لا ظلم ، وود لا بغض ، وصبر لا جزع ، وصدق لا كذب ، وعلم لا جهل ، وسلام لا عدوان ، دينا استوعب كل مكارم الفعال والأقوال وجميل الصفات والخلال .

١٢ - لو تصفح الباحثون التاريخ قديمه وحديثه ، وشرقيه وغربيه لا يجدون أمة بلغت ذروة مجدها ومنتهى قوتها من غير أن تكون متمسكة بأخلاق كريمة وخلال حميدة ولا يجدون أمة ضعفت بعد قوة ، وذلت بعد عزة ، وانحطت بعد رفعة إلا بعد أن انسلخت من الأخلاق الكريمة والخلال الحميدة ، وانغمست فى الترف والملذات وانهمكت فى الشهوات ، لأن الأخلاق حصون الأمم ، فإذا انهارت أخلاق أمة انهارت الأمة مصداقاً لما سبق من قوله تعالى : ( **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** )[2] . وما أروع قول شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقوله :

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

١٣ - أن لكل بنيان أساسا وأساس الإسلام وعماده حسن الخلق ، فهو المعتصم الذى يتمسك به من أراد أن يكون مسلما حقا ، لأن الخلق الحسن وعاء

(١) اللؤلؤ ٣ / ١٩٦ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١٦ .

الدين ، فنسبة الخلق الحسن إلى الدين كنسبة الوعاء إلى الماء الذى يستقر فيه ، فكما أن الماء لا يقوم بنفسه من دون وعاء يضم أجزاءه ويصونها عن التفرق والضياع ، كذلك أحكام الدين وتعاليمه لا تقوم بنفسها ولا يدوم سلطانها مالم يكن للمتدينين أخلاق ثابتة تحوط أحكام الدين وتحفظها من الضياع .

١٤ – أن إصلاح الباطن أساس لكل إصلاح ظاهرى ، ولا بقاء لإصلاح خارجى إلا إذا كان نتيجة وثمرة لإصلاح باطنى ، وشعبة الأخلاق هى الكفيلة بالإصلاح الباطنى وهى الشجرة الطيبة التى ثبت أصلها ، وبسق فرعها ، وطاب ثمرها ، وأخذت تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

١٥ – بالأخلاق الفاضلة نحصل على مدنية صافية ، وحضارة زاهية ، فعندما يكون المسلمون أحسن أخلاقا وأزكى نفوسا وأطهر قلوبا ، وعقولهم أعظم تحررا واتساعا ، وأكثر تفكيرا ونضجا يكونون أسبق فى ميدان المعرفة والفنون وأقدر على إنشاء الحضارة الطاهرة ، وتحقيق المثل العليا ويكون لهم الفوز على غيرهم ، وقيادة العالم إلى الخير والكمال . كما كانوا من قبل .

١٦ – أن الأخلاق الكريمة أقوى دعائم الرقى للأفراد والأمم ، وأكبر أسباب النجاح والفوز فى الدنيا والآخرة ، ولذا عنيت الشريعة الإسلامية بأمرها ، وأكثرت من الحث على اعتناقها والتمسك بها فعن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : ( **ما من شيء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذىّ** )[١] رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح[٢] . وقال ﷺ : ( **أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا قاضيا ومقتضيا وبائعا ومشتريا** ) رواه أحمد عن عثمان ( ض )[٣] .

وعن النواس بن سمعان (ض) قال سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : ( **البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس** ) رواه مسلم[٤] . وعن عبد الله بن عمرو (ض) قال : ( **لم يكن النبى**

(١) هو الذى يتكلم بالفحش ورديء الكلام .
(٢) رياض الصالحين ٢٨٠ .
(٣) فى مسنده جـ ١ حد ٤٨٥ .
(٤) فى ١٦ / ١١٠ .

ﷺ فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقا ) رواه الشيخان[1] .

١٧ – وما أروع قول الإمام الغزالى : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين ، وأفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين ، وثمرة مجاهدة المتقين ، ورياضة المتعبدين ، والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة ، والمهلكات الدامغة ، والمخازى الفاضحة ، والرذائل الواضحة ، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة هى الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان ، وجوار الرحمان ، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس ، إلا أنه مرض يُفوت حياة الأبد ، وأين منه المرض الذى لا يفوت إلا حياة الجسد . ا . هـ[2] .

وإذا كانت للأخلاق فى الإسلام هذه المنزلة السامية ، وهى التى رفعت صدر هذه الأمة إلى القمة ، فما أسباب ضعفها عند المسلمين ؟ ذلك هو ما نتعرف عليه فى الفصل التالى .

# أسباب ضعف الأخلاق

لقد ضعفت الأخلاق الكريمة عند كثير من المسلمين ، بل انهار صرحها تمام الانهيار وذلك لأسباب كثيرة منها :

١ – عدم دراستنا للأخلاق فى القرآن والسنة دراسة تفصيلية للتعرف على كريمها وثمراتها للتمسك بها ، وللعلم بذميمها وأضرارها لاجتنابها ، فإن معرفة منافع الخير تغرى به وتدفع إليه ، والعلم بأضرار الشر ينفر منه ويبعد عنه ، وهذا أمر لاشك فيه عند أصحاب الفطر السليمة .

(١) اللؤلؤ ٣ / ١٠٣ .
(٢) الإحياء ٣ / ٤٧ .

٢ – ضعف الإيمان بالله فى القلوب ، لأن الإيمان الحق قوة عاصمة من الدنايا ، ومحركة للضمير ، ودافعة إلى المكرمات ، ولذا نجد الله تعالى عندما يدعو عباده إلى فعل خير ، أو اجتناب شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر فى قلوبهم فيحركه بقوله يا أيها الذين آمنوا ، ثم يذكر ما يكلفهم به مثل : ( **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** )[1] .

٣ – ضعف كثير من الدول الإسلامية فى العصور المتأخرة بسبب تخليها فى سياستها الداخلية والخارجية عن مبادئ الإسلام الحقة وتعاليمه الرشيدة ، وأخلاقه الكريمة .

٤ – انضمام كثير من الدول الإسلامية إلى أعداء الدين من المستعمرين ، واعتناق مبادئهم فأغروهم بجيرانهم من المسلمين حتى حارب بعضهم بعضا وضرب بعضهم رقاب بعض .

٥ – انخداع بعض ضعاف الدين من المسلمين بقول المستعمرين إن التمسك بتعاليم الإسلام رجعية والسير فى ركاب الشيوعية والمستعمرين تقدمية وأن الحضارة والمدنية لا تكون إلا بترك الإسلام ، لأنه معوق عن التقدم ومعطل عن التمدن( **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** )[2] .

ومن المؤسف أن كثيراً من شبابنا اعتقد هذا وأخذ يدعو له ، ونسى أن المسلمين أقاموا على هذه الأرض حضارة زاهية ومدنية صافية ظللت العالم بعدلها وحضارتها وغطت الدنيا برحمتها وسماحتها نحو عشرة قرون ، حتى كاد الغرب لها ، وسعى فى تدميرها ليقيم حضارته على أنقاضها .

مع أن حضارة هؤلاء الماديين فى انهيار بالرغم من تقدمهم العلمى فقد خسروا إنسانيتهم الرحيمة وعدالة السماء القويمة . والدليل على ذلك هذه الشعوب الإسلامية الضعيفة التى يبيدونها من أجل سيطرتهم وفرض مبادئهم عليها ، وهذه الجرائم الأخلاقية والأمراض النفسية والعصبية وغيرها التى وصلت عندهم إلى القمة وأخذوا يصدرونها إلى من نهج نهجهم من المسلمين وسار فى ركابهم .

(١) سورة التوبة آية : ١١٩ .　　(٢) سورة الكهف آيه : ٥ .

فيجب أن نحذر المستعمرين جميعا ، وأن نسمع قوله تعالى : ( **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم** )[١] .

٦ - تعاطى المسكرات والمخدرات وغيرها من المكيفات الضارة التى أفسدت عقول المسلمين وأخلاقهم وكانت أسرع فى إفسادها من النار فى الهشيم ، وليس أدل على ذلك مما تنشره الجرائد اليومية من حوادث ، وما نسمعه فى أماكن الإفتاء من كثرة الطلاق المدمر للبيوت والمشرد للأطفال بلا حساب والفاتح لأبواب التعايش الحرام تعايش الفسق والفجور .

٧ - اعتقاد بعض الجهلة بمبادئ الإسلام أن اتخاذ بعض الأخلاق السيئة طريقا للوصول إلى مصالح دنيوية لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية مع أن الرسول ﷺ يقول : ( **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ) **قيل : مَن يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه** )[٢] رواه الشيخان عن أبى هريرة[٣] ويقول : ( **أربع من كن فيه كان منافقا خالصًا . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر** ) رواه الشيخان عن عبد الله ابن عمرو[٤] .

(١) سورة البقرة آية : ١٠٥ .
(٢) غوائله وشروره .
(٣) رياض الصالحين ١٥٧ .
(٤) اللؤلؤ ١ / ١٢ .

# الفصل الأول
## المؤثرات فى الأخلاق

وبه تسعة مباحث

١ – الفطرة الإنسانية .
٢ – الوراثة .
٣ – البيئة : الطبيعية والاجتماعية .
٤ – بطن الأم .
٥ – المنزل .
٦ – المسجد .
٧ – المدرسة .
٨ – الرفاق .
٩ – وسائل الإعلام .

# المؤثرات فى الأخلاق

يؤثر فى الأخلاق مطلقا — محمودة أو مذمومة — قوة وضعفا أمور منها الفطرة الإنسانية ، والوراثة ، والبيئة ، طبيعية أو اجتماعية .

## ( أ ) الفطرة الإنسانية

وهى الخلقة الإنسانية ، وما جبل عليه الإنسان عند ولادته ، فالطفل — بناء على النظر السديد والعلم الصحيح — يولد وفيه استعداد للخير والشر ، ويدل على ذلك :

١ – قوله تعالى : ( **ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين**[1] )[2] .

٢ – وقوله : ( **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** )[3] .

٣ – وقوله : ( **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** )[4] أى فاز بالبغية من طهرها وأنماها بالتقوى ، وخسر من نقصها وأخفاها بالفجور .

٤ – وقوله ﷺ : ( **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟** )[5] رواه الشيخان عن أبى هريرة . جدعاء : مقطوعة الأذنين أو غيرهما من الأعضاء ، يريد أنها تولد لا جدع فيها ، وإنما يجدعها أهلها .

ولم يذكر ﷺ الإسلام مع هذه الديانات ، لأنه دين الفطرة يألفه الطفل بنفسه دون حاجة إلى علاج من الوالدين أو المربين .

٥ – ويقرر الغزالى ذلك فيقول : فإن الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا ، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين[6] .

---

(١) طريقى الخير والشر .
(٢) سورة البلد آية : ٨ : ١٠ .
(٣) سورة الإنسان آية : ٣ .
(٤) سورة الشمس آية : ٧ : ١٠ .
(٥) اللؤلؤ ٣ / ٢١٢ .
(٦) الإحياء ٣ / ٧١ .

٦ – وكذلك ابن خلدون فيقول[1] : إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها ، وينطبع فيها من خير أو شر ، قال ﷺ : **( ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه )** .

وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ، ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر ، وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضاً عوائده . ا . هـ

## ( ب ) الوراثـة

وهى انتقال بعض صفات الأصل لفرعه ، قل ذلك أو كثر ، لها دخل كبير فى تكوين المرء أدبيا وعقليا وخلقيا ، فشهوات الإنسان وميوله ، وغرائزه وأمزجته ، وما تركز فيه من عادات وأخلاق ، وما وهبه الله من استعداد للذكاء ، وقوة فى مظاهر الفكر ونواحيه ، كل هذه الصفات والاستعدادات للوراثة نصيب كبير فى تكوينها ، فهى لا تنى لحظة عن نقل صفات الأجيال الماضية للحاضرة والقادمة ، متى وجدت السبيل إلى ذلك ، والوراثة كما تنقل الصفات الجسمية تنقل الصفات الأدبية . كالشهوات والميول والعوائد والأخلاق والعقل إلى غير ذلك ، فقد دلت الأبحاث على أن الأولاد يشبهون آباءهم فى كثير من الميول والصفات الخلقية حسنها وقبيحها ، فترى أبناء الأسر التى ألفت الكرم والبذل كرماء أسخياء ، وترى أولاد الأسر المشهورة بالشجاعة والإقدام ذوى بأس وقوة حربية ، يخوضون المعارك ويقتحمون المخاطر غير هيابين ولا وجلين ، وترى أبناء الأسر التى نشأت فى النفاق والرياء ذوى حيل وخداع ، يتقلبون مع الأهواء تقلب الأفعى ، إذا وعدوا أخلفوا وإذا حدثوا كذبوا وإذا اؤتمنوا خانوا مادموا يرون مصالحهم فى ذلك .

ومعنى وراثة هذه الأشياء وراثة الاستعداد لها ، أما ظهورها بالفعل فيتوقف على البيئة ومؤثراتها .

(١) فى مقدمته ١٠٧ .

**أثرها فى الفرد والمجتمع :**

للوراثة أثر سيئ فى كثير من الحالات ، يظهر ذلك فى أولاد المبذرين والمدمنين للخمر والمقامرين والمشوهين .

فغريزة الإسراف والتبذير غريزة موروثة تجرى فى دماء الأبناء ، كما تجرى فى دماء الأجداد والآباء ، والأب المخمور يلد مخمورين ، والأب المقامر يلد مقامرين ، والفاسق يلد فاسقين ، يدل على ذلك قوله تعالى — على لسان قوم مريم عليها السلام — : ( **يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا** )[1] .

هذا . وللوراثة فضل كبير فى نقل المنافع الجسمية والخلقية والتقاليد الجميلة والأخلاق الكريمة ، كالصدق والأمانة والوفاء بالوعد والكرم ، ورعاية الجار وحماية الذمار ، والشجاعة وغير ذلك مما كان متوارثا عند العرب فى الجاهلية حتى أصبحوا فيه مضرب الأمثال .

كما تنقل أساليب الآباء والأجداد فى معيشتهم ووسائلهم التى كانت عونا لهم على شئون حياتهم ، فنبنى عليها حياتنا من حيث انتهوا ، وبذلك ترتقى العلوم والفنون والمعارف وتزدهر الحضارة والمدنية ، ويتقدم المجتمع نحو الكمال .

**الواجب نحو الوراثة :**

وإذا كنا نعنى بتحسين سلالات النبات والحيوان لنحصل على ثمرة أفضل ونتاج أحسن فى المزايا والفوائد ، فالأولى بنا أن نعنى بأنفسنا ، ونعطيها ما تستحق من رعاية وما تتطلبه من تقدير .

فنستعرض جميع أحوالنا ، من جسمية ، وعقلية ، وخلقية ، ونجعل من أنفسنا رقباء عليها ، ثم نحاول أن نستفيد من صفات الخير وننميها ، وأن نهذب من سواها بقدر ما نستطيع ، والإسلام يدعونا إلى ذلك ويحثنا عليه ، ويبين لنا أنه ممكن وميسور متى صح العزم وصدقت النية ، فيقول تعالى : ( **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** )[2] .

---

(١) سورة مريم آية : ٢٨ .

(٢) سورة الشمس آية : ٧ : ١٠ .

ويقول : ( **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** )[1]

ويقول ﷺ : ( **ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله** ) رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدرى[2] . ومعنى ذلك أن من يتعاطى أسباب الشيء ويأخذ بها يعينه الله عليه وييسره له كما قال تعالى : ( **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى** )[3] ، وإذا كانت وراثة الأخلاق السيئة والعادات القبيحة والخيرة لا أثر لها فلماذا أمر الشارع طالب الزواج أن يتخير ، فقال تعالى : ( **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** )[4] . وقال ﷺ : ( **تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة (ض)[5] وقال : ( **فاظفر بذات الدين تربت يداك** ) رواه السبعة عن أبى هريرة[6] ، وقال : ( **تخيّروا لنطفكم** ) رواه ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها[7] .

أليس ذلك لكى يحتفظ طالب الزواج بفطرة نسله سليمة نقية لا تلوثها الأرحام القذرة كما يلوث الإناء القذر الشراب النقى الطهور إذا وضع فيه .

ذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات ( بلدة كذا وكذا ، وإماء بلدة كذا ) فأوعيت فيهن نطفك ، ثم تريد أن ينجبن ؟ ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟[8] . وبناء على ذلك فلاشك أنه إذا اجتهد كل منا فى إصلاح نفسه وأهله من زوجة وأولاد جسميا وعقليا وأخلاقيا ، وسار أبناؤه على هذا المنوال صرنا جديرين بفضل سنة وراثة ما يرسخ من الصفات المكتسبة بالوصول إلى مستوى قريب من الكمال إن لم نصل إلى الكمال نفسه .

---

(١) سورة النور آية : ٣٣ .
(٢) اللؤلؤ ١ / ٢٢٤ .
(٣) سورة الليل آية : ٥ : ١٠ .
(٤) سورة النساء آية : ٣٤ .
(٥) اللؤلؤ ٢ / ١٧٧ .
(٦) بلوغ المرام ٢٠١ .
(٧) تعليق العراق على الإحياء ٢ / ٤٢
(٨) العقد الفريد ٧ / ١٢٩ ، والعقيلة من النساء والدر وغيرهما : التى تعقل أى تحرس وتمنع .

## ( جـ ) البيـــئة

تطلق كلمة بيئة بأوسع معانيها على كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه كثيرا أو قليلا ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، من يوم صيرورته جنينا فى بطن أمه إلى أن يولد ويحيا على هذه الأرض ، ثم يموت .

فالمنزل ، والمدرسة ، والرفاق ، والأسفار والسياحة ، والتقاليد والنظم والقوانين التى يخضع المرء لها ، والإقليم الذى يعيش فيه ، كل ذلك ونحوه من البيئة التى لها كبير الأثر فى تكوين الإنسان .

**أنواعـــها :**

البيئة إما طبيعية ، كالإقليم الذى يعيش فيه الإنسان ، وما به من جبال ووديان ، وسهول وحزون ، وبحار وأنهار ، وما يمتاز به طقسه من حرارة وبرودة ، وإما اجتماعية ، كالبطن الذى احتواه ، والمنزل الذى درج وترعرع فيه ، والأسرة التى نشأ فيها ، والبلد الذى عاش فيه ، والمسجد الذى يتردد إليه فى صلواته ومعاهد التعليم التى عنيت بتثقيفه ، والرفاق الذين اصطفاهم لنفسه .[1]

**أثر البيئة الطبيعية :**

أثر البيئة الطبيعية فى النبات والحيوان ضربة لازب ، فنباتات وحيوانات المناطق الباردة غير الحارة والمعتدلة ، فأثر البيئة الطبيعية فى ذلك واضح تمام الوضوح إذ قانون البيئة وهو ( تعديلها الكائن الحى حسب ما يحيط به ) لا يكاد يتخلف ، أو يقبل هوادة ، أو استثناء وأثر البيئة فى صحة الإنسان وسقمه ، وذكاء عقله ، وضعف جسمه وما يشب عليه من عادات وأخلاق معروف واضح لكل من تنقل فى هذه المناطق على اختلافها .

وهذا الإمام ابن خلدون يحدثنا عن تأثير الأقاليم فى السكان آثارا مختلفة بحسبها فيقول عن سكان الأقاليم المعتدلة فى مقدمته ٧١ : وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا ، حتى النبوات فإنما توجد فى الأكثر فيها ، ولم نقف على خبر بعثة فى الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية ، وذلك أن الأنبياء والرسل إنما

يختص بهم أكمل النوع فى خلقهم وأخلاقهم ، قال تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس** )[1] ليتم القبول لما يأتيهم به الأنبياء من عند الله . وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم . فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وأقواتهم وصنائعهم.ويقول عن سكان الأقاليم البعيدة عن الاعتدال : فأهلها أبعد عن الاعتدال فى جميع أحوالهم ... إلى أن يقول : وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم .. ا . هـ

وإذا درسنا أحوال سكان المناطق المعتدلة ، والمناطق الحارة والباردة ، ونظرنا فيها نظرة فاحصة ، وجدنا الدليل الواضح على ما يقوله ابن خلدون من تأثير البيئة الطبيعية فى الأجسام والعقول والعادات والأخلاق .

**أثر البيئة الاجتماعية :**

يمر الإنسان فى البيئة الاجتماعية بعدة مراحل يتأثر فى كل مرحلة منها بما لا يتأثر به فى غيرها ، وهذه المراحل هى :

**١ - بطن الأم :**

حيث يتحول الجنين فيه من نطفة إلى علقة ، ثم مضغة ، ثم يصير خلقا آخر بشرا سويا ، والعوامل التى تؤثر على أعصاب الأم فى هذه المدة ، من استقرار واضطراب ، وأمن وخوف ، وسرور وحزن ، تؤثر على حملها تبعا لذلك ، ولذا يجب ــ بقدر الإمكان ــ تجنيب الأم العوامل المفزعة والمخيفة ، حتى لا تؤثر على الجنين فقد أثبت الأطباء أن انفعالات الحامل تؤثر فى جنينها ، وأوصوا بإدخال السرور على الحامل والعناية بصحتها ، والترويح عن نفسها بالمناظر الجميلة ، والبعد عن كل ما يثيرها .

**٢ - المنـــزل :**

يجىء بعد ذلك دور المنزل فى تكوين الإنسان ، وفيه يفهم الطفل العلاقات الاجتماعية الأولى ، فيعرف معنى الطاعة للرئيس والكبير ، والعطف على الصغير ،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

واحترام رأى الغير ، والتعاون على المصالح ، ومساعدة الضعيف ، والمشاركة فى الشعور والأحاسيس كما يأخذ عن الأسرة تقاليدها وعاداتها الدينية والاجتماعية . والوالدان هما النبع الأول الذى يستقى منه الطفل العادات والتقاليد النافعة والضارة ، وهما مصدر كل تربية صحيحة ، وأخلاق نبيلة ، وأزمة الشعوب معقودة بنواصى الوالدين ، وخاصة الأم .

لذلك وجب أن يكونا مثال الكمال فى الأخلاق والمعاملات ، وكل شىء ، فعين الطفل متعلقة بهما ، وهو حريص على تقليدهما ، والسير فى طريقهما ، ولذا قال ﷺ : ( **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه** ) الحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة[1] .

وقال الغزالى : فإن الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا ، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين[2] .. وقال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

ومن هنا يحملهما الإسلام المسئولية الكبرى فى صلاح أولادهما وفسادهم .

فيقول ﷺ : ( .. **والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** .. ) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر (ض)[3] .

وقال شاعر النيل :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

وإذا لم يحسن الوالدان تربية أولادهما شبوا على الرذيلة والأخلاق الذميمة ، وضعف الرجاء فى إصلاحهم ، فإن من شب على شىء شاب عليه ،

كما قال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن يلين إذا قومته الخشب

(١) اللؤلؤ ٣ / ٢١٢ .
(٢) الإحياء ٣ / ٧١ .
(٣) رياض الصالحين ١٥٥ .

### ٣ - المسـجد :

والمسجد الذى يتردد إليه المرء فى صلواته له دور كبير فى تكوين الفرد الصالح من جميع نواحيه : الروحية والعقلية ، والخلقية والاجتماعية وغيرها ، فهو يجىء قبل المدرسة ، فإنه قد أدى فى فجر حياتنا الحضارية فى التاريخ الإسلامى دور المدرسة ، بل أكبر فحين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كان أول عمل قام به بناء مسجده الشريف الذى خرج الأبطال الذين ضربوا المثل الأعلى فى جميع النواحى العلمية والروحية والعقلية والخلقية والحربية والرياضية والسياسية . ألم يشرع الله الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة ، وصلاة الجمعة فى كل أسبوع فى المساجد التى يقول تعالى فيها : ( **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** )[1] .

أليس قد أمر الله فى هذه الآيات بالمساجد أن ترفع وتعظم ، وتطهر من فحش القول ، ومما لا يليق بها وبالمصلين فيها ، لأن الله جعلها مدارس لتربية الأخلاق الكريمة فى المؤمنين بالله والعاملين بتشريعه ؟ .

أليست مدارسنا التى حملت لواء العلم والخلق والحضارة فى القرون الوسطى قد بدأت من المسجد الذى يلتقى فيه المرء بإخوانه فى جو ملائكى ترفرف عليه الطمأنينة والسكينة ، يفتح سمعه وقلبه فيه للقرآن ، ويتدبر آيات الرحمن فتصفو نفسه ، ويستنير عقله ، ويمتلىء بخشية الله قلبه ، فيجتنب الشر ويفعل الخير ، ويحس فيه بالترابط بين أفراد الحى ، وبالمحبة والنظام ، ويقتبس من رواده الأخلاق الكريمة والآداب الجميلة ، والمعاملات الطيبة ، وتزول عن الإنسان فى هذا الجو همومه وأحزانه .

---

(١) سورة النور آية : ٣٦ : ٣٨ .

ألم يصبح من ركائز علم النفس الاجتماعى اليوم الاستفادة من الدين فى علاج كثير من الأمراض التى يصاب بها الناس فى ظل هذه الحضارة ؟

فالهموم والأحزان وانهيار الأعصاب والأنانية والانعزالية والجرائم الأخلاقية ، كل هذه الأمور يفيد فيها الجو الروحى الذى يهيئه المسجد فى معالجتها ، وشفاء المصابين بها .

ألم يكن الرسول ﷺ إذا دخل وقت الصلاة يأمر بلالا أن يؤذن بها ويقول : ( **يا بلال أرحنا بالصلاة** )[1] . ألم يكن ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ؟ ألم تتحدث الجرائد عن كثرة الانتحار ، وعن القتل الجماعى لأفراد الأسرة الواحدة عند الهاجرين للمساجد ، والمقاطعين لأماكن العبادة ؟ .

لا علاج لذلك كله إلا بالمحافظة على العبادة فى المساجد ، والحرص على التزود من ثقافتها الدينية ، والعيش بعض الوقت فى الأجواء الروحية ، بذلك يحس الناس بلذة العبادة واطمئنان الروح بين يدى خالقها العظيم ، وبسرور لو علمه الملوك لجالدوهم عليه بالسيوف .

**٤ - المدرسة :**

هى الحلقة التى تربط المنزل بالعالم الخارجى ، فهى مجتمع صغير يمكن أن يكون نموذجا لما بعده من المجتمع العام .

والمدرسة تقوم بدور لا يقوم به المنزل فى تربية الناشىء أدبياً وثقافياً وعقلياً وخلقياً واجتماعياً ، لأن العلاقة بين الطفل ووالديه فى المنزل تقوم على المحبة والمودة والعطف والحنان ، وذلك كثيرا ما يدعو إلى الإغضاء عما يقترفه الطفل من مخالفات خلقية ، أما المدرسة فالتعامل يسير فيها كما قال الله تعالى : ( **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** )[2] فهى تبصر الطفل بما يأتيه وتحاسبه على كل ما يصدر منه من خير أو شر ، وتقومه بحسبه .

(١) الوابل الصيب لابن القيم ٣٠ .
(٢) آخر سورة الزلزال .

وبذلك يحس بالمسئولية فيتخلص من الصفات الذميمة التى ربما تكون قد علقت به فى حياته المنزلية لما للتسامح فيها من مجال كبير ، ويحرص على الصفات الحميدة التى تشجعه عليها مدرسته .

كذلك المدرسة محل اجتماع لعدد كثير من التلاميذ ، والاجتماع مظهر للسجايا ومحك للأخلاق الاجتماعية ، وبذلك تمكن المربى من الوقوف على أخلاق كل طفل ، فيهذب الفاسد ، وينمى الصالح ، يضاف إلى ذلك أن المجتمع المدرسى ينشئ الطفل على كثير من العادات والأخلاق الفاضلة ، كالتعاون والتعاطف ، ولطف المعاملة والحلم وإنكار الذات ، ومحبة الغير واحترامه ، والمحافظة على حقوق الآخرين .

وكل هذه الفضائل لا سبيل إلى غرسها فى نفوس النشء إلا بالمعاشرة المدرسية والاندماج فى المجتمعات الرشيدة ، كمعاهد التعليم . ويجب أن يتعاون المنزل والمدرسة على تنشئة الطفل وتهذيبه من جميع نواحيه ، حتى يكون خيرا فاضلا يعمل على إسعاد نفسه ورقى مجتمعه .

**٥ – الرفاق :**

للرفاق الذين يصطفيهم الإنسان لمعاشرته أثر بالغ فيما يشب عليه من ميول وعادات ، وما يتعلق به من شيم وأخلاق ، فالمرء يميل إلى تقليد صديقه فى أقواله وأفعاله ، فإن كان الصديق حميد الفعال والأقوال نقلنا عنه ذلك ، والعكس بالعكس .

فمصاحبة الأخيار المستقيمين تغرى بالفضيلة ، وتنفر من الرذيلة ، وتغرس فى النفس الأخلاق الطيبة ، والصفات الحميدة ، وتحببه فى فعل الخير ، وترغبه فى العمل الصالح ، ومصاحبه الأشرار المنحرفين عن الصراط المستقيم والطريق القويم تحبب الإنسان فى الشرور والآثام ، وترغبه فى المنكرات والإجرام ، فيقع فى المهالك ، ويتردى فى الهاوية .

ولذا أمرنا الله بمصاحبة الأخيار فقال تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع أهل الصادقين** )[1] ، أى راقبوا الله فى جميع أقوالكم وأفعالكم ، وكونوا مع أهل الصدق واليقين ، الذين صدقوا فى دينهم نية وقولا وعملا .

وقال تعالى ــ محذرا من مصاحبة الأشرار ، ومبينا سوء عاقبة من يصاحبهم ــ : ( **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا** )[2] .

وقال ﷺ : ( **مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك[3] وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة** ) رواه الشيخان عن أبى موسى (ض)[4] ، وقال ﷺ : ( **الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل** ) رواه أبو داود ، والترمذى عن أبى هريرة بإسناد صحيح[5] .

وقال عبد الله بن مسعود : ما من شيء أدل على شيء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب . وقال عدى بن زيد :

لا تسأل عن المرء وسل عن قرينه  فكل قرين بالمقارن يهتدى
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم  ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردى

وقال غيره :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه  والمرء يصلحه الجليس الصالح

لذلك كان لابد فى الصديق أن يكون خيرا متحليا بمكارم الأخلاق ، وحميد الخلال ، فإن من طريق المرونة على الفضيلة أن يعيش المرء مع أناس أخيار ، كما أن من طريق المرون على الرذيلة مصاحبة الأشرار ، فكم رأينا من نفوس طيبة خيِّرة

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٩ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٢٧ : ٢٩ .
(٣) يعطيك ويتحفك منه شيئا هبة .
(٤) اللؤلؤ ٣ / ٢٠٣ .
(٥) رياض الصالحين ١٨٠ .

أفسدها إخوان السوء وقلوب مريضة منحرفة أصلحها إخوان الخير ، فالمرء ــ كما في الحديث ــ على دين خليله ينهج نهجه ، ويسلك سبيله .

**٦ - وسائل الإعلام :**

من صحف ومجلات ، وإذاعات ، ودور الخيالة والتمثيل ، والتقاليد والعادات ، التي يحيا الإنسان في ظلها ، والحكومة التي تسوس الأمور ، والقوانين التي يحكم بها ، والنظم التي يخضع لها ، وسائر النواحي الأخرى للبيئة الاجتماعية ، فلكل ذلك أثره في تكوين عادات الإنسان ، وتقاليده وأخلاقه ، إن حسناً فحسن ، وإن سيئا فسيىء ، فإن كانت خيّرة شجعت على الفضيلة ، والأخلاق النبيلة ، والأعمال الجميلة ، وإن كانت شريرة شجعت على الفساد والشرور ، والانطلاق في الفجور ، وكل باطل وزور وقد حذرنا الله من حضورها ، ومن مشاهدتها ، فقال تعالى : ( **والذين لا يشهدون الزور**[1] **وإذا مروا باللغو**[2] **مروا كراما**[3] )[4] .

وقد بيّن الله الأثر السيّىء للبيئة الفاسدة فقال تعالى : ( **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** )[5] فالتذييل الذي أعقب التحذير الإلهي في الآية واضح الدلالة على أثر البيئة الاجتماعية الفاسدة .

وتوعد الله من يشتري لهو الحديث ليضل به أو يضل به غيره عن سبيل الله بأشد أنواع العذاب فقال : ( **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** )[6] .

ولما كان أثر البيئة الاجتماعية على اختلاف أنواعها في الأخلاق والسلوك لا ينكر أمر الله بالهجرة من البيئة الفاسدة إلى البيئة الصالحة ، وشجع عليها فقال

---

(١) الكذب والباطل .
(٢) الكلام القبيح وغيره .
(٣) معرضين عنه .
(٤) سورة الفرقان آية : ٧٢ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٠٨ .
(٦) سورة لقمان آية : ٦ ، ٧ .

تعالى : ( **يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون** )[1] وقال : ( **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** )[2] .

ومنع الله من موالاة من كان فى بيئة فاسدة ولم يهاجر منها مع قدرته على ذلك فقال تعالى : ( **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا** )[3] أى والذين آمنوا ولم يهاجروا لا يثبت لهم شىء من ولاية المؤمنين ونصرتهم إذ لا سبيل إلى ولايتهم حتى يهاجروا وجعل الله جهنم جزاء من توفى فى بيئة فاسدة لم يهاجر منها مع قدرته على ذلك فقال تعالى : ( **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** )[4] .

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .
(٢) سورة النحل آية : ٤١ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٢ .
(٤) سورة النساء آية : ٩٧ : ٩٩ .

# الفصل الثانى

# منهج القرآن فى التربية الأخلاقية

## منهج القرآن فى التربية الأخلاقية

لما كانت الأخلاق الكريمة هى عماد حياة الأمم والشعوب ، وقوام سعادتها وتقدمها فى كل نواحى الحياة ، وأساس الفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة ، حرص القرآن الكريم على البيان التام للأخلاق الكريمة وثمراتها ، والحث عليها ، والترغيب فيها ، وعلى التوضيح الكامل للأخلاق الذميمة وأضرارها ، والتنفير منها ، سالكا فى ذلك أحسن المناهج ، وأفضلها وخير السبل وأقومها على الوجه التالى :

١ - أنه يقرن الحث على التمسك بالأخلاق الكريمة بفوائدها وثمراتها الحميدة ، فى الدنيا والآخرة فإن من حقائق علم النفس أن الإنسان يكون أكثر إقبالا وحرصا على ما له فيه مصلحة فى دنياه وأخراه فيقول تعالى : ( **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** )[١] ويقول : ( **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** )[٢] .

وأنه يقرن التحذير من الأخلاق الذميمة بالترهيب من عواقبها الوخيمة إذ من حقائق علم النفس أيضا أن الخوف هو أقوى وازع لكف الإنسان عن الشرور والآثام فيقول تعالى : ( **إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا** )[٣] .

٢ - وأنه يقرن الجزاء الحسن على الأخلاق الكريمة ، والجزاء السيىء على الأخلاق الذميمة بقاعدة عامة معترف بها فطريا من الجميع ، حثا على الأولى وتنفيرا من الثانية ، مثل قوله تعالى : ( **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** )[٤] .

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) سورة النساء آية : ٣٦ ، ٣٧ .
(٤) سورة الرحمن آية : ٦٠ .

أى ما جزاء الإحسان فى العمل والخلق إلا الإحسان فى الثواب ، وقوله تعالى : ( **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور** )[1] أى ذلك الجزاء الذى حل بهم جزيناهم بكفرهم النعمة وعدم شكرها ، وهل نعاقب هذا العقاب إلا شديد الكفر بالله وبأفضاله .

فمن حقائق علم النفس أن الفكرة الموحى بها من المربى إذا كانت محترمة ومؤيدة من المجتمع . تكون الرغبة فيها عند الإنسان أيسر والانقيادُ لها أسرع .

٣ – فى الحث على التحلى بالأخلاق الكريمة يذكر القرآن القدوات الحسنة من الأنبياء وغيرهم ، فإن قوة الإيحاء بالشيء تزداد بنسبة ما فى القدوة والناصح من صدق وانسجام بين أقواله وأعماله ، فيقول عن رسولنا ﷺ : ( **وإنك لعلى خلق عظيم** )[2] ، ويقول : ( **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** )[3] .

ويقول عن إبراهيم (ص) : ( **إن إبراهيم لأواه حليم** )[4] ويقول : ( **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا** )[5] .

ويقول عن موسى ــ عليه السلام ــ : ( **قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** )[6] .

ويقول عن موسى وهارون ، وإسمعيل وإدريس ــ عليهم السلام ــ : ( **واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا . وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا . واذكر فى الكتاب إسمٰعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا . واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا . أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى**

---

(١) سورة سبأ آية : ١٧ .
(٢) سورة القلم آية : ٤ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٨ .
(٤) سورة التوبة آية : ١١٤ .
(٥) سورة مريم آية : ٤١ .
(٦) سورة القصص آية : ٢٦ .

**عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** )[١] .

ويقول عن يوسف — عليه السلام — : ( **وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم** )[٢] .

وهكذا اشتهر الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — بالأخلاق الفاضلة ، محمد بالكمال فى جميعها ، وإبراهيم بالجود والحلم والصدّيقية ، وموسى بالقوة والشجاعة ، والأمانة والإخلاص ، وإسمعيل بالصدق ، واهتمامه بدعوة أهله إلى طاعة الله ، وبما أرضى الله عنه ، وإدريس بالصدق فى الأقوال والأفعال والأعمال ، ويوسف بالأمانة والحفظ والعلم ، وفى ذلك أكبر وازع للاقتداء بهم والسير على نهجهم .

٤ — أن القرآن لا يسوق التربية الأخلاقية فى نغمة واحدة ، بل ينوع ويغير فى الأسلوب لإثارة إنتباه السامع ، وتنشيطه بالمشوقات عن طريق القصص الحق مع التعليق والتذييل بما يجب فى جميل الأخلاق ، وينفر من قبيحها . فيقول تعالى : ( **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** )[٣] ويقول : ( **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** )[٤] ، وقد سبق بذلك ما يقول به علماء النفس بكثير من مئات السنين .

٥ — تأكيدا للحث على الأخلاق الفاضلة ، وللتنفير من الأخلاق السيئة يكرر الله ذكرهما فى القرآن ، ولكن بطرق شتى وأساليب متنوعة ، فى الإيضاح والتمثيل ، تحاشيا للسآمة والملل ، فإن التكرار والتوكيد للمعلومات بلا سآمة أو ملل من أشد العوامل فى تثبيتها فى نفس السامع — كما يقول علماء النفس — فيقول تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا**

---

(١) سورة مريم آية : ٥١ : ٥٨ .
(٢) سورة يوسف آية : ٥٤ ، ٥٥ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٦٣ .
(٤) سورة القصص آية : ٥٥ .

**فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** )[1] كما يقول : ( **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** )[2] .

٦ – إتباع الأسلوب الرقيق الجذاب الذى يأخذ بالألباب ، ويستهوى النفوس ، ويقود إلى الحق فى عزة وشمم ، ويحافظ على كرامة الإنسان ، ويراعى مشاعره وأحاسيسه فيقول تعالى : ( **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** )[3] .

فقد دعا الله فى هذه الآية إلى المحافظة على حقوق الله ، وحقوق الناس وكرامتهم فى أسلوب عال من باب ( إياك أعنى واسمعى يا جارة ) والتعبيرعن ذلك بالأمانة ، أحسن وأجمل ما عرف من التنويه بالفضيلة ، والأخلاق النبيلة .

٧ – إيقاظ غريزة الرجولة فى النفس إلى أبعد حد مع التنبيه إلى جمال العفو والصفح واجتناب الظلم ، والترغيب فى الصبر ، فيقول تعالى : ( **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغيرالحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** )[4] .

وهذا أجمل ما عرف عن دين سماوى ، فالإسلام لا يعتبر الضعف عذرا ، ويوجب على أهله أن يكونوا أقوياء فى مجتمعهم ، مهابين ومحترمين من غيرهم ، وحتى لا يطغوا ويتجبروا ويستذلوا غيرهم ، وينفروا الناس من دينهم ، جاء فى نهاية الآيات بمعدل لها ، فحذر من الظلم ، وأشاد بفريضة العفو والصفح عند القدرة ، ونوه بالغفران والصبر .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٣٦ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .
(٤) سورة الشورى آية : ٣٩ : ٤٣ .

٨ – ورفع الأغطية والحجب عن الروح الخيرة المودعة فى جبلة الإنسان ، ودفعه إلى المستوى الأعلى ، وما فيه من خير وبر ، فقال تعالى : ( **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا** )(١) .

**والمعنى** : وقل — أيها النبى — : لعبادى المؤمنين يقولون فى مخاطباتهم ومحاوراتهم لغيرهم الكلام الأحسن والأفضل فى الإقتناع ، ويتركون الكلام الخشن الذى يتسبب عنه الشر والفساد فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم بالشر ، وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقعت المخاصمة والقتال ، لأن الشيطان دائما عدو للإنسان بين العداوة .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥٣ .

# الفصل الثالث
## وسائل اكتساب مكارم الأخلاق
## وبه عشرة مباحث

١ – التعود والتمرين على الأخلاق الفاضلة .
٢ – تأسيس بيت الزوجية على تقوى الله ورضوانه .
٣ – فضل الإيمان الحق بالله تعالى فى مكارم الأخلاق .
٤ – فضل العبادات فى مكارم الأخلاق .
٥ – أثر الكفارات فى تهذيب الأخلاق .
٦ – أثر القدوة الحسنة فى مكارم الأخلاق .
٧ – أثر تربية النشء على الأخلاق الكريمة .
٨ – العلم بالأخلاق الكريمة يرغب فيها وينميها .
٩ – أثر الوعظ والإرشاد أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
١٠ – بيان القرآن الكريم للأخلاق الكريمة وثمراتها ، وللأخلاق الذميمة وأضرارها .

## ١ - التعود والتمرين على الأخلاق الفاضلة

إذا كرر الإنسان خلقا كريما وعملا صالحا ، وزاوله مدة طويلة ، ملزما نفسه به صار فى النهاية خلقا حسنا له ، يصدر عنه بسهولة ويسر ، وبلا فكر وروية ، كما أنه لو كرر عملا قبيحا ، وزاوله كثيرا ملزما نفسه بذلك صار فى النهاية خلقا سيئا له ، فالعادة ــ كما يقول علماء الأخلاق ــ طبع ثان ، وأثرها فى تكوين الأخلاق حسنها وقبيحها واضح لا ينكر .

فأكثر الفضائل والرذائل هو نتيجة عادات تتحكم فى الإنسان ، فمن اعتاد أمرا صار فى النهاية ملكة له يفعله بلا قصد وروية ، وقد ثبت أن ٩٩٪ من أعمال الإنسان ليست إلا إعادات آلية .

لذلك كان لابد لتكوين أخلاق كريمة فى الإنسان من التعود عليها والتكرار لها مدة حتى ترسخ فى النفس ، وذلك ما دعا إليه القرآن الكريم فى عدة آيات منها :

قوله تعالى : ( **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** )[1] أى وليطلب العفة عن الحرام ويجتهد فى تحصيلها والحفاظ عليها وإدامتها الذين لا يجدون نكاحا حتى تصبح العفة عادة له ، وخلقا راسخا ، يوضح ذلك قوله ﷺ : ( **ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر** ) رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى[2] .

أى ومن يعالج خلق العفة والاستغناء عما فى أيدى الناس ، والصبر على الأذى ويتكلف ذلك مرارا وإلزاما ييسره الله عليه ، ويجعله عادة له وخلقا ، وكان لابد أيضا للتخلص من عادات سيئة من الإقلاع عنها إقلاعا قطعيا لا رجعة بعده ،

(١) سورة النور آية : ٣٣ .

(٢) اللؤلؤ ١ / ٢٢٤ .

وإلا عادت إليه تلك العادة ربما أشد ضراوة من المرة الأولى ، وقد حذرنا الله من مثل ذلك فقال تعالى : ( **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** )[1] .

أى ولا تكونوا فى الحنث فى أيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التى تغزل الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنقضه وتتركه محلولا .

والأدلة على أن من كرر فعل الشيء الواحد مرارا كثيرة فى أوقات متقاربة مدة طويلة يصير عادة له وطبعا كثيرة منها :

١ - قوله تعالى : ( **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )[2] فالحق والصبر يشملان كل الأخلاق الكريمة ، وفى التواصى بهما دليل على إدامة الحفاظ عليهما فى النفس والغير .

٢ - قوله تعالى : ( **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** )[3] فقد أفادت هذه الآية أن المتهجدين بالليل لما ألزموا أنفسهم القيام بالليل فى ساعات معينة مرارا عديدة متتابعة لا ينفكون عنها صار ذلك عادة لهم . وصارت جنوبهم إذا حان وقت قيامهم تنأى بهم وترتفع عن فرشهم التى يضطجعون عليها .

٣ - وقوله تعالى : ( **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى** )[4] .

٤ - وقوله ﷺ : ( **وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا** ) رواه الشيخان عن ابن مسعود (ض)[5] .

٥ - وقول عائشة (ض) فى حديث الإفك : والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إنى بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمر — والله يعلم أنى منه بريئة — لتصدقنى )

---

(١) سورة النحل آية : ٩١ ، ٩٢ .
(٢) آخر سورة العصر .
(٣) سورة السجدة آية : ١٦ .
(٤) سورة الليل آية : ٥ : ١٠ .
(٥) بلوغ المرام ٣٠٧ .

رواه الشيخان عن عائشة (ض)[1] ، فإنه يفيد أن الحديث المتكرر مدة طويلة يستقر فى النفس ، ويعسر تكذيبه .

٦ – وقول ابن مسكويه[2] ـــ عند كلامه على الحالة النفسية التى تنقلب خلقا ـــ : ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب ، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ، ثم يستمر أولا فأول حتى يصير ملكة وخلقا .

٧ – وقول الرئيس ابن سينا[3] : ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصله لنفسه ، ومتى صدفت نفسه عن خلق حاصل جاز أن ينتقل بإرادته عن ذلك إلى ضد ذلك الخلق .

والذى يحصل به الإنسان لنفسه الخلق ويكتسبه متى لم يكن له خلق ، أو ينقل نفسه عن خلق صدفت نفسه عنه هو العادة ، وأعنى بالعادة تكرير فعل الشىء الواحد مرارا كثيرة ، زمانا طويلا فى أوقات متقاربة ، فإن الخلق الجميل إنما يحصل عن العادة ، وكذلك الخلق القبيح .

٨ – وقول الإمام الغزالى : والوجه الثانى : اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة ، وأعنى به حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب .

فمن أراد ـــ مثلا ـــ أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد ، وهو بذل المال ، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ، ويتيسر عليه ، فيصير به جوادا ، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع ـــ وقد غلب عليه الكبر ـــ فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة ، وهو فيها مجاهد نفسه ، ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا ، فيتيسر عليه .

وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق ، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا ، فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله ، دون الذى

(١) اللؤلؤ ٣ / ٢٦١ .

(٢) المتوفى سنة ٤٢١ هـ فى كتابه تهذيب الأخلاق ٢٥ .

(٣) المتوفى سنة ٤٢٨ هـ من مذكرة الدكتور محمد يوسف موسى ٥٨ .

يذل عن كراهة ، والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ، ولن ترسخ الأخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة ، وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ، ويتنعم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال ﷺ : ( **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** )[1] .

وقال : ( **إن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة ، وهى تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء** )[2] .

٩ – ويقول الإمام ابن خلدون[3] : إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من الحضر ، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه ، فالذي ألفه فى الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة ، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة . أ . هـ .

مما تقدم يتأكد أنه بالتعود تتكون الأخلاق الحسنة والقبيحة ، وأن تعود العمل الطيب وتكريره ، وإلزام النفس به مدة طويلة يجعله فى النهاية خلقا حسنا ، وتعود العمل القبيح ومزاولته كثيرا بلا انقطاع يصيره خلقا سيئا ، ويتحقق ما يقوله علماء التربية من أن العادة طبع ثان .

ولذا وجبت تربية الأولاد على العادات الحميدة ، لأن الصبوة أفضل سن لتربيتها ، والعادة الراسخة فى الصغر كالحروف المنقوشة على ساق شجرة صغيرة تكبر وتتسع بنموها ، قال صالح بن عبد القدوس :

| | |
|---|---|
| وإن من أدبته فى الصبا | كالعود يسقى الماء فى غرسه |
| حتى تراه مورقا ناضرا | بعد الذى أبصرت من يبسه |

وقديما قيل : اطبع الطين ما كان رطبا ، واغمز العود ما كان لدنا .

(١ ، ٢) الإحياء ٣ / ٥٦ ، ٥٨ .

(٣) فى مقدمته ١٠٩ .

## ٢ - تأسيس بيت الزوجية على تقوى الله ورضوانه

نظرا لما للوراثة فى النسل من أثر فى الأخلاق إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فقد دعانا المولى — جل وعلا — إلى تأسيس بيت الزوجية على تقوى الله ورضوانه فقال تعالى :

**( أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين )**[١] .

لذلك وجب أن يقام بناء الأسرة على أساس صالح من الزوج والزوجة ، حتى نحصل على ذرية طيبة ذات أخلاق كريمة ، فإن وراثة الأخلاق الكريمة والذميمة ، والعادات الحسنة والسيئة أمر لا يكاد ينكره أحد .

وإلا فلماذا دعا الله طالب الزواج أن يتزوج المحصنات العفيفات ، فقال تعالى : **( وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين[٢] غير مسافحين[٣] )**[٤] ، وقال : **( اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان[٥] )**[٦] .

أليس ذلك سدا لباب الغواية الزوجية ، والمسافحة والتخادن حتى تبقى البيوت طاهرة نقية ، مرفوعة الرأس مصونة الكرامة ، ذات أخلاق عالية ، وفضائل سامية ؟ .

ولماذا حرم الله على المؤمن الطاهر أن يتزوج بزانية ذات ماض أثيم ، وعلى المؤمنة العفيفة أن تتزوج بزان دنس العرض والخلال ، فقال تعالى : **( الزانى لا**

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٩ .
(٢) عفيفين عن المعاصى .
(٣) غير زانين .
(٤) سورة النساء آية : ٢٤ .
(٥) مصاحبى خليلات للزنى سرا .
(٦) سورة المائدة آية : ٥ .

**ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** )[1] .

وحذر من نكاح الخبيثات والخبيثين ، ودعا إلى نكاح الطاهرات والطاهرين فقال تعالى : ( **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** )[2] .

أليس ذلك للحفاظ على طهارة الأسر وكرامتها ، وعلى قداسة البيوت وعزتها ؟

ولماذا أمر الشارع طالب الزواج أن يتخير فقال تعالى : ( **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** )[3] .

وقال ﷺ : ( **فاظفر بذات الدين تربت يداك** ) رواه السبعة عن أبى هريرة[4] ، وقال : ( **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** ) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة[5] .

وأكد ﷺ دعوته إلى نكاح طاهرات العرض كريمات الأخلاق ، فقال : ( **خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة ، واللفظ لمسلم[6] ، وقال : ( **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة** ) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص[7] .

لماذا قال الله ورسوله ذلك وغيره ؟ أليس لكى يحتفظ المسلم فى ذريته بالدين القويم ، والخلق الكريم ، وليحتفظ طالب الزواج بنسله طاهرا مطهرا من كل سوء ، وليسهم فى بناء صرح الأمة الإسلامية الخيِّرة الفاضلة ذات المكارم العالية ، والخلال السامية ؟ .

(١) سورة النور آية : ٣ .
(٢) سورة النور آية : ٢٦ .
(٣) سورة النساء آية : ٣٤ .
(٤) بلوغ المرام ٢٠١ .
(٥) تعليق العراق على الإحياء ٢ / ٢٣ .
(٦) اللؤلؤ ٣ / ١٧٩ ، ومسلم فى ١٦ / ٨١ .
(٧) رياض الصالحين ١٤٨ .

## ٣ – فضل الإيمان الحق بالله تعالى فى مكارم الأخلاق

إن الإيمان الحق بالله تعالى ، وبرقابته على الأعمال ، وجزائه عليها بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه ، وبالملائكة ، والكتاب والنبيين ، مبدأ كل خير وفضيلة ، ومنبع كل بر وأخلاق نبيلة ، لأنه يستتبع صدور الأعمال الصالحة ، واتقاء الشرور والفساد ، ويجعل الإنسان خيرا فاضلا ، يفعل الخير لذاته تعالى ، وابتغاء مرضاته ، ويترك الشر لأجله ، وامتثالا لأمره تعالى ، وكفى بذلك خيرا وفضلا ، وشرفا ونبلا ، ويكفينا تدليلا على ذلك قوله تعالى :

**( فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم )**[١] .

وقوله : **( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون )**[٢] .

وقوله : **( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم )**[٣] .

فإذا تخلى مدعى الإيمان عن مكارم الأخلاق ، وحميد الخلال فليس بمؤمن حقا لقوله ﷺ : **( والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه**[٤] ) رواه الشيخان عن أبى هريرة (ض)[٥] ، وقوله : **( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )** رواه الشيخان عن أنس (ض)[٦] .

---

(١) سورة الأنفال آية : ١ : ٤ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١٥ .
(٣) سورة التوبة آية ٧١ .
(٤) غوائله وشروره .
(٥) رياض الصالحين ١٥٧ .
(٦) اللؤلؤ ١ / ١٠ .

بل هو منافق لقوله ﷺ : ( **أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** ) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر (ض)[1] .

## ٤ – فضل العبادات فى مكارم الأخلاق

فضل العبادات التى شرعها الله تعالى فى اكتساب مكارم الأخلاق ، ونموها ظاهر لا يخفى كالشمس فى وضح النهار ، فما شرع الله عبادة من العبادات ، ولا قربة من القربات إلا لبناء صرح مكارم الأخلاق ، ونموها ، وإلا مقرونة بحكمتها ، وسر مشروعيتها .

**ففى الصلاة وذكر الله :**

قال تعالى : ( **اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** )[2] ، وقال : ( **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون** )[3] .

والفلاح هو الفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، فالصلوات الخمس التى فرضها الله علينا فى كل يوم وليلة ، وجعلها كتابا موقوتا ، وأكد على وجوب إقامتها فى أوقاتها فى كثير من آيات القرآن هى من أعظم وسائل تربية الأخلاق الكريمة ، وأقوى مقومات الضمير ، كما يتضح من هذه الآيات ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ( **إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون** )[4] .

---

(١) اللؤلؤ ١ / ١٢ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ١ ، ٢ .
(٤) سورة المعارج آية : ١٩ : ٢٣ .

وقال تعالى — مبينا ما فى صلاة الجمعة من خير — : ( **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** )[١] .

فإذا لم تنه المصلى صلاته عن الفحشاء والمنكر ، وتنمى فيه الأخلاق الكريمة فليست بصلاة شرعية ، قال ﷺ : ( **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا** ) رواه الطبرانى عن ابن عباس[٢] .

**وفى الزكاة والصدقة :**

قال تعالى : ( **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** )[٣] ، وقال : ( **وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** )[٤] .

فالزكاة هى الركن الأساسى لإصلاح المجتمع ، جعلها الله حقا معلوما للفقراء فى أموال الأغنياء ، سدا لحاجة البائسين ، وتفريجا لكربة الغارمين ، وتحريرا لرقاب المستعبدين ، وتيسيرا لأبناء السبيل ، وعلاجا لمرض الفقر والبؤس والشح ، الذى يفتك بالأفراد والجماعات ، ويقوض صرح المجتمعات ، وينشر فى الأمم التقاطع والتدابر ، ويحملهم على سفك الدماء ، واستحلال المحارم ، ولا منقذ لهم من ذلك إلا القيام بأداء هذه الفريضة وهى طهرة للمال من السحت وحق الغير ، ولمخرجها من الأخلاق الفاسدة ، كالبخل والجشع ، وقسوة القلب والطمع ، وطهرة لمن تعطى له من الحقد والحسد .

---

(١) سورة الجمعة آية : ٩ ، ١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤١٤ .

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٣ .

(٤) سورة التغابن آية : ١٦ .

وهى نماء للمال ، إذ فى أدائها شكر للنعمة ، وشكر النعمة يزيدها ، قال تعالى : ( **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد** )[1] .

ونماء للأخلاق الطيبة ، وقوام اتحاد المجتمع وتماسكه ، وهى بركة على آخذها ومعطيها والمسهم فيها .

وما هلك من هلك إلا بالشح والبخل ، ولذا قال ﷺ : ( **اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** ) رواه مسلم عن جَابر بن عبد الله (ض)[2] .

**وفى الصيام :**

قال تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** )[3] . فالصيام الشرعى مدرسة تهذيبية يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، ويؤدى إلى التقوى فى أوسع معانيها .

ولذا قال ﷺ : ( **الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وإن أمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم مرتين** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة[4] ، ومعنى جنة حصن ووقاية من المعاصى والأخلاق السيئة ، وقال ﷺ : ( **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** ) رواه البخارى عن أبى هريرة[5] .

**وفى الحج :**

قال تعالى : ( **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** )[6] والرفث : الجماع وفحش القول ، والفسوق :

(١) سورة إبراهيم آية : ٧ .
(٢) ق ٦ / ١٣٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٣ .
(٤) اللؤلؤ ٢ / ١٩ .
(٥) رياض الصالحين ٤٥٨ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

الخروج عن الطاعة إلى المعصية ، والجدال : المناقشة ، والمحاورة فيما لا فائدة فيه .

وفى التمسك بما جاء فى الآية الوصول إلى الكمال الخلقى مع الله وعباده ، ولذا يشجع الرسول ﷺ ويحث على ذلك فيقول : ( **من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه** )، ويقول :( **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** ) رواهما الشيخان عن أبى هريرة[1] .

وقال تعالى : ( **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** )[2] .

البائس : الشديد الفقر .

**وهكذا** ، نجد أن العبادات كلها ، من صلاة وذكر الله ، وزكاة وصيام وحج ما شرعت إلا لتهذيب النفس ، وتقويم الخلق ، وتربية الضمير ، لينشأ مجتمع إسلامى فاضل . قوامه الفضيلة والأخلاق النبيلة ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

ورباطه الحب الصادق ، والإخلاص المتبادل ، والعطف والحنان ، والتقدير والاحترام ، فالعبادات أقوى العوامل والمؤثرات فى تكوين مكارم الأخلاق .

## ٥ – أثر الكفارات فى تهذيب الأخلاق

ومن توابع العبادات ، ووسائل تهذيب الأخلاق ، وتنميتها فى الإنسان الكفارات التى شرعها الله ، ككفارة القتل ، والظهار ، والنذر الذى لم يُسمّ والأيمان ، والفطر فى رمضان ، ففيها تعود على الأخلاق الكريمة ، والعطف والحنان ، وتهذيب للإنسان ، وتربية له على الآداب النفسية والاجتماعية ، وتعاون على البر والتقوى .

---

(١) اللؤلؤ ٢ / ٧٦ .

(٢) سورة الحج آية : ٢٧ ، ٢٨ .

ففى كفارة القتل دية تعويضا لأسرة المقتول ، وتحرير رقبة تعويضا لجماعة المؤمنين بنفس بدل النفس التى فقدت .

وإذا كان التكفير بصيام ففيه تهذيب للنفس وصيانة لها عما يشينها ، وحفظ للجوارح عما يغضب الله ، وكف للأذى عن الغير .

وإذا كان التكفير بإطعام أو كسوة ففيه عون للمحتاجين ، وبر بالفقراء والمساكين ، وتعويد على البذل ، وتعاون على الخير .

وفى الكفارات محاسبة العبد لنفسه من غير إلزام من الحكام ، أو من الناس ، إنها فى الأكثرسر بين العبد وربه كالصيام ، وتربية للضمير ، واستحضار لمراقبة الله ، وكف عن مخالفته ، وتعود على حفظ الأيمان ، وصيانة عن الأخطاء .

## ٦ - أثر القدوة الحسنة فى مكارم الأخلاق

للقدوة الحسنة فضلها العظيم ، وأثرها الكبير فى النهوض بالإنسان ، ورفع مستواه العلمى ، والخلقى ، والصغير فى حاجة إلى من يساعده على القيام بأعماله ، وتنمية أخلاقه ، وخير مساعد له فى ذلك القدوة الحسنة ، فإنها من خير الوسائل ، وأهمها لاكتساب الأخلاق الكريمة ، وتنميتها فى النشء ، قال الأستاذ محمد جاد المولى رحمه الله[1] :

القدوة هى المعلم القدير بلا لسان ، والمرشد الناصح من غير بيان ، وهى مدرسة الإنسان العملية التى يرسخ تعليمها فى النفوس ، ويعلق بالأفهام ، والناس مائلون طبعا إلى أن يتعلموا بعيونهم أكثر مما يتعلمون بآذانهم ، والمرئى يؤثر أكثر من المقروء والمسموع ، وتعليم العمل أنفع من تعليم القول ، والإرشاد يُرى الطريق ، ولكن القدوة البكماء تسير فيه ، ومهما أوتى المعلم من البراعة فى تهذيب النفوس فليس ببالغ ما بلغ زميل دونه فى المهارة ، وفوقه فى السيرة ، ولذا كان خير النصح . افعل كما أفعل ، لا كما أقول . أ . هـ .

(١) فى كتابه الخلق الكامل ١ / ١٦٦ .

ويؤكد أثر القدوة الحسنة فى اكتساب الأخلاق الكريمة وتنميتها ما يأتى :

١ – أن التجارب أثبتت أنه لا شيء يساعد على غرس الفضائل والأخلاق الكريمة ويؤثر فى النفوس تأثير السحر كالقدوة الحسنة ، فإنها تثير الشعور فى الناس إعجابا بفعل الغير ، وتبعث الإحساس فى نفوسهم بكل جميل ، فيتأثرون بمن حولهم فى الأخلاق والآراء والمعتقدات ، ويقتدون بهم ، وينهجون نهجهم وإن لم يقصدوا ذلك .

٢ – أن النفوس جبلت على الاقتداء بالغير فيما برّز فيه ، وكل إنسان مولع بتقليد من يفضله فى الأخلاق الكريمة ، والعادات الجميلة ، أصحاب النفوس الطيبة ، والذكرى الحسنة ليكون مثلهم ، وهذا أمر ملموس فى عامة الناس استجابة لغريزة التقليد .

قال الإمام ابن خلدون[1] : إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده .

والسبب فى ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل بها حصل اعتقادا ، فانتحلت جميع مذاهب الغالب ، وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء . أ . هـ .

٣ – أن النفس تحب محاكاة الغير ومماثلته فى العمل تبعا لغريزة المحاكاة ، ولذا تؤثر فى الفقير مخالطته للفقراء ومجالستهم ، فيستعظم ما عنده من نعم الله ، ويشكره عليها ، وتؤثر فيه مخالطة الأغنياء فيحتقر ما عنده من نعم الله ويزدريها وينسى شكرها ، كما أن غريزة المحاكاة هى السبب فى ميل الطبع إلى الإصلاح عند مخالطة الصالحين ، وإلى الفساد عند معاشرة المفسدين .

ولهذا أوجب الله الهجرة من أرض المفسدين إلى أرض الصالحين ، وحرم العكس أشد تحريم . فقال تعالى : **( يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة**

(١) فى مقدمته ١٢٨ .

**فإياى فاعبدون** )[1] وقال : ( **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** )[2] .

وقال جعفر بن سليمان : كلما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلىّ نشاطى فى العبادة ، ويفارقنى الكسل[3] .

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية : كنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب إنشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة[4] .

٤ – إن الحقيقة التى لا شك فيها أننا نشاهد باستمرار كثيرا ممن يخالطون الصالحين وأصحاب الأخلاق الكريمة يتأثرون بهم ، ويتخلقون بأخلاقهم ، ويجاهدون أنفسهم ليكونوا مثلهم ، ومن يخالطون الأشرار كثيرا ما يسرقون من طباعهم ، ويسيرون على منوالهم .

ويدل على ذلك أن عمر بن الخطاب (ض) لما تفتحت عليه الدنيا ، زهد فيها حرصا منه على سلوك طريق صاحبيه : رسول الله ﷺ ، وأبى بكر الصديق (ض) ، بالرغم من نصيحة أكابر الصحابة له بالتوسع فى أمور معاشه — من مسكن وملبس ومطعم — ما دامت الدنيا قد أقبلت بحلالها عليه .

وأنه قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى . رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه ، يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ، ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال : يا بن أخى ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك .

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٩٧ .

(٣) الخلق الكامل للأستاذ جاد المولى ١ / ١٦١ ، ومحمد بن واسع أزدى تابعى .

(٤) الوابل الصيب لابن القيم ٦٧ .

ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك ، وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة[1] .

٥ – إن كل فعل نفعله ، وكل ما نراه ونزاوله ، تنفعل به نفوسنا وتتأثر به جوارحنا ، وأحاسيسنا ، وينطبع على مظاهرنا وحواسنا كما قال تعالى : ( **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** )[2] ويمتد تأثيره إلى الجنس البشرى كله .

**هـذا** ، ولما كان للقدوة هذا التأثير الكبير فى الأخلاق فقد أمرنا الله بالتأسى بالقدوة الصالحة ، وحثنا عليها ــ والله عليم حكيم ، لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ، ولا يحث إلا على ما فيه فائدة للإنسان ومجتمعه فى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى ــ بعد أن ذكر كثيرا من أنبيائه وأثنى عليهم خيرا ــ : ( **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** )[3] أى أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير والكمال فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين ، وأمهات الفضائل ، ولا تسلك غير سبيلهم .

وقال : ( **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** )[4] .

**أى والله لقد كان فى قصص الأنبياء وأممهم عبرة لذوى العقول المبرأة من شوائب الإلف ، والركون إلى الحس يدركون بها أن القرآن حق وصدق ، فما كان حديثا مختلقا ، ولا أساطير مفتراة ، وإنما هو حق ، ووحى يؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل ، ويبين كل ما يحتاج إلى بيان وتفصيل من أمور الدين ، ويهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه ، وكان من المؤمنين الصادقين .**

(١) العقد الفريد ٢ / ١١٨ .
(٢) سورة الإسراء آية : ١٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٩٠ .
(٤) آخر سورة يوسف .

وقال : ( **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** )[1] .

أى ونقص عليك — أيها النبى — من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أممهم ما نقوى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة ، ونزيدك يقينا وطمأنينة وثباتا فى أداء مهمتك .

وقد جاءك فى هذه الأنباء بيان بالحق الذى تدعو إليه ، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل من توحيد الله والبعد عما يغضبه ، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون فيزدادون إيمانا ، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه .

وقال تعالى : ( **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** )[2] .

وتأكيدا للحث على الاقتداء برسل الله وصالح المؤمنين ، وترغيبا فى ذلك ذكر الله شئونهم مع أقوامهم ، وقيامهم بأداء رسالتهم وما طلب منهم على خير وجه وأكمله ، كما ذكر بعض ما امتازوا به من الأخلاق الكريمة لنقتدى بهم ونتخلق بأخلاقهم فقال تعالى : ( **اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد[3] إنه أواب[4]** )[5] ، وقال : ( **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار[6] . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار[7] . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** )[8] .

وقال : ( **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** )[9] .

(١) سورة هود آية : ١٢٠ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١ .
(٣) القوة فى العبادة .
(٤) رجّاع إلى الله .
(٥) ص ١٧ .
(٦) البصائر فى الدين .
(٧) خصصناهم بخصلة لا شوب فيها هى تذكرهم للآخرة دائما .
(٨) ص ٤٥ : ٤٨ .
(٩) سورة الأنبياء آية : ٨٩ ، ٩٠ .

وذكر الله أن رسولنا ﷺ وصل إلى القمة فى جميع مكارم الأخلاق ، فقال : ( **وإنك لعلى خلق عظيم** )(١) .

وقال تعالى — حاثا على الاقتداء بالسلف الصالح — : ( **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ) ( **يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** )(٢) .

وقال : ( **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** )(٣)

وقد اقتدى به أبو بكر الصديق ، فكان يردد هذه الآية على أسماع من يؤذون رسول الله ﷺ .

فما ذكر الله قصص الأنبياء والمؤمنين السابقين فى القرآن الكريم إلا لاستهواء النفوس ، وترقيق القلوب ، وتقليدهم فى الحرص على الإيمان والخلق الكريم وتحمل الأذى فى سبيل ذلك .

## ٧ – تربية النشء على الأخلاق الكريمة

١ – يطلب من الآباء والأمهات أن يكونوا مثال الكمال لأولادهم فى جميع نواحى الخير ، فعيون ذرياتهم تتعلق بهم من حين يولدون ، ويحسون بما يدور حولهم ، ويرون فيهم المثل الأعلى لهم ، فيقلدونهم فى كل ما يأتون وما يذرون من أعمال وأقوال .

---

(١) سورة القلم آية : ٤ .

(٢) سورة لقمان ١٣ ، ١٦ : ١٩ .

(٣) سورة غافر آية : ٢٨ .

ولذا يحث الإسلام الأصول على أن يكونوا قدوة حسنة للفروع ، فيقول تعالى : ( **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم**[1] **من عملهم من شيء** )[2] ويقول : ( **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما**[3] **ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك** )[4] .

كما يقول : ( **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** )[5] .

وقال ﷺ : ( **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..** ) الحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة[6] ، ولم يذكر ﷺ الإسلام مع هذه الديانات ، لأنه دين الفطرة ، يألفه الطفل بنفسه دون حاجة إلى علاج من الوالدين أو المربين .

وقال ﷺ : ( **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[7] .

٢ – كما يطلب من الأساتذة والمشرفين على تربية الأطفال والتلاميذ أن يكونوا كذلك مثلا عليا فى الاستقامة والخلق الفاضل وكريم التعامل فخير ما يقدمه الآباء والمربون لمن يقومون بتربيتهم القدوة الصالحة فى كل شئون الحياة الدينية والدنيوية ، فهى الطريقة المثلى التى شيد عليها الإسلام صرح الأخلاق ، وأحكم بها بناءه ، وقد كان ﷺ داعيا إلى الله بأخلاقه وأعماله قبل أن يكون داعيا إليه بأقواله ، فإن عمل المرء بما يدعو إليه ، وانطباعه عليه يؤثر فى الغير ، ويسرى فى طباعه

---

(١) ما نقصناهم .
(٢) سورة الطور آية : ٢١ .
(٣) قوتهما وكمال عقلهما .
(٤) سورة الكهف آية : ٨٢ .
(٥) سورة التحريم آية : ٦ .
(٦) اللؤلؤ ٣ / ٢١٢ .
(٧) ق ١١ / ٨٥ .

سريان الكهرباء فى أسلاكها ، وما أصدق قول الشاعر :

وإنك إذ ما تأت ما أنت آمر      تلف من إياه تأمر آتيا

ويحث الإسلام الأساتذة والمربين على أن يكونوا قدوة حسنة ، بأن يأتمروا بالخير ويتركوا الشر ، ويدعوا الغير إلى مثل ذلك ، فيقول تعالى : ( **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين** )[1] .

ويقول ﷺ : ( **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[2] ، فالدعوة إلى الهدى تكون بالأفعال قبل الأقوال .

وحذر الإسلام من القدوة السيئة ، وتوعد صاحبها بأشد أنواع العذاب ، فقال تعالى : ( **وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون . وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين**[3] )[4] ، وقال ﷺ . ( **كل أمتى معافى إلا المجاهرون** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة[5] وقال : ( **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** ) الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر[6] ، وقال ﷺ : ( **الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** ) رواه ابن ماجه عن ابن عباس[7] .

هذا ، ونظرا لأن غريزة التشبه بالغير أقوى ما تكون فى الصغار ، فالطفل ينبت على غرار كافله ومربيه ، لأنه يراه أعظم منه ، لكونه قائما بشأنه ، وصاحب أمره ونهيه ، فيحاكيه محاكاة المفضول للفاضل ، فتنطبع أخلاقه على غرار والديه ومربيه ، ومن يعنى به ويشرف عليه ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٣ .
(٢) ق ٦ / ٢٢٧ .
(٣) المبعدين أو المهلكين .
(٤) سورة القصص آية : ٤١ ، ٤٢ .
(٥) تيسير ٣ / ٣٨٧ .
(٦) رياض الصالحين ١٥٥
(٧) الترغيب ٣ / ٢٠ .

نظرا لذلك يجب أن ينشأ الصغار فى بيئة صالحة ليشبوا صالحين ، فالأخلاق تسرق من الأخلاق ، قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

٣ – وأن يقصوا على النشء فى المنزل والمدرسة سير كثير من أبطال التاريخ وعظماء الرجال — لما لها من التأثير الكبير فى نفوسهم— كأبى بكر الصديق فى إخلاصه لدينه ،وسخائه بماله فى سبيل الإسلام وإدارته لشئون الأمة الإسلامية فى أحرج المواقف بحنكة وحزم حتى بعثها من جديد ، وتركها على دين قويم ، وصراط مستقيم .

وعمر بن الخطاب فى عدله وزهده ، وحسن سياسته وحذره ، وقوة دينه ويقينه وعثمان بن عفان فى أدبه وحيائه ، وكرمه وسخائه ، وجهاده بنفسه وماله فى سبيل الله وابتغاء مرضاته .

وعلى بن أبى طالب فى علمه وفضله ، وشجاعته ونبله ، وفدائيته ونضاله فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، وخالد بن الوليد فى حسن إدارته للمعارك الحربية ، وحبه للجهاد وحرصه على الاستشهاد فى سبيل الحق ، والذى لم يسقط له لواء قط ولم يجد العجز ولا المستحيل إلى نفسه سبيلا .

والحسن البصرى فى ورعه وعفته ، وفقهه وفصاحته ، ونصاعة مواعظه وحسن بيانه ، وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ، فى ثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير ، وإلمامه بكل فنون المعرفة فى عصره ، قال تعالى — حاثا على ذلك — : ( **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** )[1].

وأن يحذروهم من قراءة سير الأشرار ، والاطلاع على مناظر الفساد ، ومن ارتياد أماكن العبث والمنكرات ، وينفروهم من ذلك .

٥ – وعلى وسائل الإعلام من مقروءة ومسموعة ومرئية أن تتحاشى عرض ما ينشر الشر والمنكر ويفسد الأخلاق .

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٦ .

فكثيرا ما يكون سبب الإجرام عند الشباب قراءة سير اللصوص أو رؤية مناظرهم فى دور الصور المتحركة .

٦ – وعلى قلم المطبوعات فرض رقابة صارمة على شرائط تلك الصور المتحركة قبل عرضها على الجمهور خشية تأثيرها فى نفوس الأحداث ، وإثارة غرائز الشباب ونشر الفساد ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على جميع الأمة وقوام دينها خاصة وأن دينها الرسمى هو الإسلام ، والشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، والرسول ﷺ إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق التى بها يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

**٨ – العلم بالأخلاق الكريمة يرغب فيا وينميا .**

ينكر بعض الباحثين فائدة دراسة الأخلاق والتعرف على كريمها وذميمها فى إصلاح الفاسد ، ويدعى أن الخيِّر خيِّر بفطرته وطبيعته والشرير شرير بفطرته وطبيعته وأن ما بالطبيعة لا يتغير ولا يتحول وللرد على ذلك أقول :

إن هذا غير ما قامت عليه البراهين الساطعة والادلة القاطعة ، وأنه لا يستطيع كل ذى عقل سليم ، وتفكير سديد أن ينكر أن العلم بالخيرات والخلال الصالحات والمنافع يغرى بها ويرغب فيها ، ويدفع إلى الحصول عليها والظفر بها ، وأن العلم بالشرور والمضار ينفر منها ويبعد عنها،وأن كل عاقل يحرص على جلب الخير والكمال لنفسه،ودفع الضر والأذى عنها،فمن حقائق علم النفس أن الإنسان يكون أشد انتباها وانقيادا إلى ماله مساس بمصلحته الشخصية ، وأن الخوف هو أقوى وازع لكف الإنسان عن الشرور والآثام ، وإذا كانت هذه الأمور حقائق مسلمة من الجميع فإن العلم بالأخلاق الحميدة والخلال الجميلة ومزاياها يرغب فيها ويدعو إلى التحلى بها ، والعلم بالأخلاق الذميمة والخلال القبيحة ومضارها ينفر منها ، والخوف من عواقبها الوخيمة يكره فيها ويبعد عنها ، ويؤكد ذلك ما يأتى :

١ – أنه لو لم يكن العلم بالأخلاق الكريمة وفوائدها يدعو إلى اكتسابها والتحلى بها ، والعلم بالأخلاق الذميمة وعواقبها يدعو إلى اجتنابها والنفور منها

لكان الله — جل جلاله — عابثا بإرسال رسله وإنزال كتبه لإعلام الناس بكريم الأخلاق وفوائدها ، وبذميمها ومضارها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

٢ – وأنه لو لم يكن العلم بالأخلاق الكريمة ومزاياها مرغبا فيها وباعثا على التخلق بها لما ذكرها الله فى كتابه — وهو العليم الحكيم — مقرونة بفوائدها وحكمتها ترغيبا فيها وحثا على التحلى بها كقوله تعالى : ( **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**)[1] **وما يلقاها**[2] **إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** )[3] ويؤكد ذلك ما قاله صفوان بن أمية : ( لقد غزوت مع رسول الله ﷺ وما خلق الله خلقا أبغض إلىّ منه ، فما زال يعطينى حتى ما خلق الله خلقا أحب إلى منه ) وكان صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم[4] .

ولو لم يكن العلم بالأخلاق الذميمة ومضارها منفرا منها وداعيا إلى اجتنابها لما ذكرها الله فى كتابه مقرونة بما يُكّره فيها ويبعد عنها كقوله تعالى : ( **ولا تصعّر خدك للناس**[5] **ولا تمش فى الأرض مرحاً** )[6] **إن الله لا يحب كل مختال فخور**[7] **واقصد فى مشيك**[8] **واغضض**[9] **من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** )[10]

٣ – ولو كان الترغيب لا يغرى بالعمل الصالح ويدفع إلى التسابق فيه ، والترهيب لا ينفر من العمل السيىء ويبعد عنه لما دعا الله إلى عمل الصالحات مقرونة بالترغيب فيها ، وحذر من السيئات مصحوبة بالتخويف والترهييب منها كقوله تعالى : ( **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** )[11] .

---

(١) صديق قريب يهتم لأمرك .
(٢) وما يؤتى هذه الخصلة الشريفة .
(٣) سورة فصلت آية : ٣٤ ، ٣٥ .
(٤) العقد الفريد ١ / ١٩٠ .
(٥) لا تمله كبرا وتعاظما .
(٦) فرحا وبطرا وخيلاء .
(٧) متكبر مباه بمناقبه .
(٨) توسط واعتدل .
(٩) اخفض وانقص .
(١٠) سورة لقمان آية : ١٨ ، ١٩ .
(١١) سورة الأعراف آية : ٣٥ ، ٣٦ .

٤ – وفى البخارى[1] عن أنس بن مالك فلما أنزلت ( **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ) قام أبو طلحة فقال : يارسول الله إن الله يقول : ( **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ) وإن أحب أموالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها- **يارسول الله – حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ : ( بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين** ) قال أبو طلحة أفعل يارسول الله . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ) وهكذا لم يكد يسمع أبو طلحة الآية ويدرك معناها حتى استجاب لمرماها .

٥ – تواترت الأخبار عبر التاريخ قديمه وحديثه بوصايا الحكماء بالتمسك بكريم الاخلاق والتحذير من سيئها ، وذلك لما فطروا عليه من إفادة النصائح وتأثيرها فى الجماهير ، وهذا برهان قاطع على أن العلم بالأخلاق الكريمة وفوائدها سبب فى اكتسابها ونموها ، وأن معرفة الأخلاق الذميمة وأضرارها سبب فى النفور منها واجتنابها .

٦ – أن الدراسة الواعية للأخلاق فى القرآن تقف الإنسان على المحمود منها والمذموم ، وهذا يدفع أصحاب النفوس العالية والهمم السامية ، إلى مجاراة أهل الفضل فى التحلى بمكارم الأخلاق ،والبعد عن سفسافها وعن السير فى ركاب أهل الدناءة والنقص ، فكل عاقل يحب ويحرص فطريا على المركز الممتاز لنفسه والسمعة الطيبة لشخصه ، فإن الإنسان بحكم غريزة حب الظهور يميل إلى مدح الناس وثنائهم عليه واحترامهم له ، ويخشى مذمتهم واحتقارهم .

٧ – كما أن الدراسة الواعية للأخلاق فى القرآن تنبه من كانت فيه عيوب أخلاقية خفيت عليه أن يتخلى عنها ، ومن كان تاركا لبعض الأخلاق الكريمة جهلالها إلى التخلق بها .

٨ – وتدفع كريم الأخلاق وحميد السجايا إلى الحرص عليها والاستزادة منها إذا

---

(١) ق ٦ / ٧٦ .

طرق سمعه ذكر الأخلاق الكريمة والسجايا الجميلة ومناقبها النفيسة ، وشعر أن تلك أخلاقه وسجاياه .

٩ – أن دراسة الأخلاق بتدبر والتعرف على حسنها وقبيحها تقوى الإرادة على عمل الخير وسلوك طريقه المستقيم ، وتشحذ العزيمة على المضى فى سبيل الفضيلة وإتخاذها منارا يسير فى ضوئه ويهتدى بهديه .

١٠ – أن تقرير أساتذة التربية وولاة الأمر فى جميع الأديان والمذاهب مادة التربية الأخلاقية فى كل مراحل التعليم ، وبيان آثارها الحميدة للطلاب ليقتنعوا بجميلها فيتحلوا به وبقبيحها فيتخلوا عنه وينفروا منه برهان ساطع على أن العلم بالخلق وثمرته يرغب فى جميله وينفر من قبيحه ، والضد يظهر حسنه الضد .

١١ – أن الحسن قولا وعملا محبوب عادة وطبعا ، والقبيح قولا وعملا مبغوض عادة وطبعا كذلك ، والمحبوب مرغوب ، والمبغوض مكروه ، والرغبة فى الشيء تبعث إلى التنافس فيه ، وكراهيته تدعو إلى النفور منه والبعد عنه ، وذلك كله أمر فطرى وطبيعى لا يعارض فيه عاقل ولا يكابر فيه إلا جاهل . فالأخلاق الجميلة محبوبة ومرغوب فيها ، وباعثة لأصحاب الفطر الطاهرة إلى التحلى بها والتنافس فيها ، والأخلاق القبيحة مكروهة ومبغوضة ، وباعثة لأصحاب الفطر السليمة إلى النفور منها والبعد عنها،وهكذا تحقق أن العلم بالخلق الحسن وأثره الجميل فى نفوس العقلاء والإيمان بكونه حسنا مرضيا يبعث الإنسان إلى العمل بمقتضاه حرصا على مزاياه ، كما أن العلم بالخلق الذميم وأثره الوخيم فى نفوس الفضلاء يدفع العاقل إلى النفور منه والبعد عنه .

## ٩ – أثر الوعظ والإرشاد
## أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

معنى الوعظ : قال الراغب : الوعظ زجر مقترن بتخويف ، قال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب ، والعظة والموعظة الإسم ، قال تعالى : ( **يعظكم لعلكم تذكرون** )[١] ، ( **قل إنما أعظكم بواحدة** )[٢] أ هـ .

**فالوعظ** : هو النصح والتذكير بالعواقب ، وبالخير والحق على الوجه الذى يرق القلوب ويبعث على العمل ، وهو القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ، ويكبح جماح تمردها ، ويزيد النفوس المهذبة إيمانا .

**والإرشاد** : هو الهداية إلى الطريق الموصل إلى المطلوب ، وهو الحث على الخير بالترغيب فيه ، والتحذير من الشر بالتنفير منه .

وللوعظ والإرشاد أثر طيب فى تربية البشر على الأخلاق الفاضلة ، وتنفيرهم من الأخلاق السيئة ، فإرشاد الأطفال والتلاميذ ، والشباب عموما ، والناس كافة إلى الأخلاق الكريمة ، وإيقافهم على فوائدها وثمرتها يحببهم فيها، ويغريهم بها ، ويدفعهم إلى التحلى بها .

وإيقافهم على الأخلاق الذميمة وأضرارها ، وبيان مغبتها السيئة لهم ولمجتمعهم على النهج الذى سار عليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية ينفرهم منها ، وينأى بهم عنها .

والوعظ والإرشاد إلى الخير وفوائده ، وإلى الشر وأضراره ليقبل الناس على الأول ويتجنبوا الثانى ، هو ما عرف فى القرآن والسنة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين أوجبهما الإسلام لتكوين مجتمع خير وأمة فاضلة ، تفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** )[٣] ، لذلك وجب الكلام عنهما وبيان

(١) سورة النحل آية : ٩٠ .
(٢) سورة سبأ آية : ٤٦ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

أثرهما فى الترغيب فى الأخلاق الكريمة ، والإقبال عليها وتنميتها ، وفى التنفير من الأخلاق الذميمة واجتنابها ، ويأتى الكلام عنهما تفصيلا فى الفصل الرابع .

## فائدة الوعظ والإرشاد فى تربية مكارم الأخلاق

للوعظ والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر آثار حميدة ، وفوائد جليلة فى التخلص من الشرور والمفاسد ، وفى اكتساب الأخلاق الكريمة ، والخلال الحميدة ، وفى صلاح الأفراد والمجتمعات ، واستقامتهم على طريق الحق والخير ، والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ويدل على ذلك ما يأتى :

١ – قوله تعالى : ( **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** )[1] أى لا تدع التذكير والموعظة الحسنة ، فإنها تؤثر فى الذين قدر الله تعالى إيمانهم ، كما تؤثر فى الذين آمنوا بالفعل فتزيدهم إيمانا على إيمانهم ، وبصيرة فى الدين ، وقوة فى اليقين .

٢ – وقوله تعالى : ( **فذكر إن نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى** )[2] أى فذكر الناس إن نفعت الذكرى ، فشأنها أن تنفع ، سينتفع بتذكيرك من يخاف الله ، ويتجنبُ الذكرى الأشقى المصر على العناد والكفر .

٣ – إن الذنوب والمنكرات أمراض نفسية ، وعلاجها بالادوية الربانية عن طريق المواعظ والإرشادات ، والنصائح من الكتاب والسنة ، فبالمواعظ والنصائح تصح النفوس من أمراضها ، وتسلم القلوب من أسقامها ، ووساوس الشياطين ، وترجع عن غيها إلى رشادها ، ومن ضلالها إلى هداها واستقامتها .

٤ – لا يمترى عاقل ، ولا يشك بصير بأمراض النفوس ، وأدواء الجهل والغفلة أنه بالوعظ والتذكير تتهذب النفوس ، وتتنبه العقول من غفلتها ، وتستيقظ من رقدتها ، وتستنير البصائر بنور الإيمان والقرآن ، بعد أن طمستها ظلمات الكفر والعصيان .

(١) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

(٢) سورة الأعلى آية : ٩ : ١١ .

٥ – من الذى يستطيع أن ينكر أو يكابر فى أن الوعظ والإرشاد هو العلاج الوحيد لفساد العالم ، وأن الإرشاد بآيات القرآن هو المخرج للناس من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية .

وكل من علم تاريخ العرب وحالهم قبل البعثة المحمدية ، ثم حالهم بعدها وما صاروا إليه أيقن أن ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة من الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو صاحب الأثر الفعال والتأثير الطيب فى نقل الأمة العربية من حضيض الفساد والشر إلى قمة الصلاح والخير ، وذروة الفضل ومكارم الأخلاق ، وجمال الفعال وصلاح الأحوال ، وحسن سياسة الشعوب والأمم بالحق والعدل ، وسماحة الإسلام حتى صارت خير أمة أخرجت للناس .

٦ – لو لم يكن للوعظ والإرشاد ، والدعوة إلى الخير والتحذير من الشر أثر فعال فى اكتساب مكارم الأخلاق ، وتنمية حميد الخلال ، وإصلاح حال الأفراد والأمم لما أرسل الله رسله وأنزل كتبه لدعوة الناس إلى الخير وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، ولكانت أوامر الله فى القرآن بالخير ونواهيه عن الشر عبثا لا فائدة فيها ، ولا ثمرة لها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

٧ – من الذى يستطيع أن ينكر أو يكابر ماتواتر فى كتب السنة والسير من أن الوفود كانت تفد على رسول الله ﷺ من شتى الأنحاء فلا تكاد تسمع نصحه وإرشاده بالقرآن ، ودعوته إلى الله ، حتى تستجيب وتعتنق الإسلام ، وتلتزم تعاليمه وإرشاداته ، وأن مصعب بن عمير لم يكدينته من دعوة سعد بن معاذ إلى الله ، وعظته وإرشاده بالقرآن حتى استجاب سعد لدعوته وأسلم هو وقومه بنو عبد الاشهل[1] .

٨ – تكرير الأمر بالمعروف كلما خفى ، والنهى عن المنكر كلما ظهر مقرونا بالأدلة يحقق تثقيف الأمة كلها بالمأمورات والمنهيات بأدلتها ، فيدفعها ذلك إلى فعل الخير ، واجتناب الشر ، فعن عمر بن أبى سلمة قال : ( كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله

(١) انظر ابن هشام ٢ / ٥٨ .

ﷺ : ( **ياغلام ، سم الله ،وكل بيمينك ، وكل مما يليك ) فما زالت تلك طعمتي بعد** ) رواه الشيخان[1] .

٩ – وقـوله ﷺ : ( **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** ) رواه الترمذى عن أبى ذر ، وقال : حديث حسن صحيح[2] ، فهذا الحديث يدل على أن اتقاء الله والتخلق بالخلق الحسن أمر ممكن ، وإلا لما أمر ﷺ بذلك .

١٠ – وما أروع ما قاله الإمام الغزالى — مبرهنا على قبول الأخلاق للتحسن والتغيير عن طريق الوعظ والإرشاد — لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا ، والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله ﷺ ( **حسنوا أخلاقكم** ) ، وكيف ينكر هذا في حق الآدمى ، وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأديب والإمساك ، والتخلية ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير للأخلاق[3] ـ وهكذا تحقق لكل ذى عقل قويم ، وفكر سديد أثر الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فى اكتساب مكارم الأخلاق ونموها .

## ١٠ – بيان القرآن الكريم
## للأخلاق الكريمة وثمراتها ، وللأخلاق الذميمة وأضرارها

لقد عنى القرآن الكريم بتربية الأخلاق الكريمة ، وتنميتها فى الإنسان عناية لا مثيل لها فى كتاب سماوى سابق ، واهتم بها أكبر اهتمام وأعظمه ، حتى يكون المجتمع الإسلامى خير مجتمع وأسعده فى دنياه وأخراه .

فلم يترك القرآن صغيرة ولا كبيرة من الأخلاق الحميدة ، والسجايا الجميلة ، إلا بينها وأمر بها ، ورغب فيها ، كما أنه لم يدع شيئا من الأخلاق الذميمة ،

(١) اللؤلؤ ٣ / ١٧ .
(٢) الترغيب ٣ / ١٧٠ .
(٣) الإحياء ٣ / ٥٤ .

والعادات القبيحة ولو حقيرا إلا وضحه ونهى عنه ، وحذر منه ونفر ، كما وضح الشرور والآثام كبيرها وصغيرها ، ظاهرها وباطنها ، عامها وخاصها ، لأنها تفتك بالمجتمعات ، وتحولها من الخير إلى الشر ، ومن الصلاح إلى الفساد ، هادفا بذلك إلى أن يكون المسلم نموذجا للكمال الإنسانى فى عقائده وآدابه ، وفى أخلاقه ومعاملاته وفى طباعه وسجاياه ، وأن يكون فى أحسن تقويم يحبه مولاه ويرضاه .

وترغيبا فى مكارم الأخلاق وجميل الخلال بين الله مالها من آثار حسنة ومنافع جمة للفرد والأمة فى الدنيا والآخرة ، وترهيبا وتنفيرا من مساوئها بين مالها من أضرار سيئة وعواقب وخيمة للإنسان ومجتمعه فى الدنيا والآخرة كذلك ، حتى يحرص الإنسان على التمسك بالأولى والتحلى بها ، والنفور من الثانية والبعد عنها .

هذا ومن العسير ذكر كل ما جاء به القرآن من كريم الأخلاق وحميد الخلال ، وذكر عامة الأخلاق الذميمة وجميع العادات القبيحة فى هذه العجالة .

فكتاب الله — الذى نزله تبيانا لكل شيء — كله دعوة إلى مكارم الأخلاق مع الله وخلقه ، وتحذير من مساوئها ، وكل آياته تستهدف تحقيق الخلق العالى والأدب السامى ، والكمال الإنسانى ، ونشر الرحمة ، ومد نطاق البر والإحسان إلى جميع الخلق فى أى مكان .

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : ( **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** )[1] وقوله : ( **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما** )[2] وقوله : ( **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** )[3] وقوله : ( **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** )[4] .

(١) سورة النحل اية : ٩٠ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٩ ، ١٠ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٤) سورة الحشر آية : ٧ .

وما رواه أحمد عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : ( **كان خلقه القرآن** )(١) .

وإذا كان القرآن كله سجلا لمكارم الأخلاق وأسسها القويمة ، وبيانا لمساوئها ونقائصها فحسبنا أن نذكر بعض الآيات الداعية إلى التمسك بمكارم الأخلاق . والمحذرة من مساوئها ، وفى ذلك إقناع لمقتنع ( **وذكرى لكل عبد منيب** )(٢) .

## نماذج من آيات التربية الأخلاقية فى القرآن

١ – قوله تعالى : ( **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** )(٣) .

فقد أنزل الله هذه الآية حسما للجدل الذى أثير حول القبلة ، **وذكر أنه لا خير فيه** ، وبين لهم فيها ، أن الخير الجامع هو صحة العقيدة والإحسان إلى الجماعة البشرية وتهذيب النفس واتصافها بمكارم الأخلاق .

وأن صحة العقيدة تحصل بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والإحسان إلى الجماعة يكون بإنفاق المال وبذله للمحتاجين والإيفاء بالعهد وتهذيب النفس يحصل بالصلاة والصبر فى البأساء والضراء ، ووقت مجاهدة الأعداء فى مواطن الحرب .

فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صدقوا فى إيمانهم وهم الذين اتقوا الكفر والرذائل وتجنبوها .

(١) ابن كثير ٤ / ٤٠٢ .
(٢) سورة ق آية : ٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

٢ – وقوله تعالى : ( **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة**[١] **أو ظلموا أنفسهم**[٢] **ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** )[٣] .

٣ – وقوله : ( **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجارذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** )[٤] .

**والمعنى** : واعبدوا الله تعالى وحده ، فإن عبادته أصل الخير كله ، ولا تجعلوا معه شريكا فى الألوهية والعبادة ، وأحسنوا إلى الوالدين إحسانا لا تقصير فيه ، وإلى الأقارب واليتامى والذين افتقروا بسبب عجزهم ، أو ذهاب الكوارث بأموالهم ، وإلى الجار القريب النسب ، والجار الأجنبى ، والرفيق فى عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذى لاقرار له فى بلد معين ، وإلى ما ملكتم من الأرقاء ، إن الله لا يحب من كان متعاليا على الناس لا نأخذه بهم رحمة ، كثير التمدح بنفسه .

٤ – وقوله : ( **لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** )[٥] .

**والمعنى** : إن الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم ، لا خير فى هذه الأحاديث فى الكثير لأن الشر يفرخ فى الخفاء ، لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها ، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر أو تدبير إصلاح بين الناس فإن ذلك خير ، ومن يفعله طالبا لرضا الله سبحانه فإن

(١) خطيئة كبيرة .
(٢) تحملوا ذنبا صغيرا .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٣ : ١٣٦ .
(٤) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٥) سورة النساء آية : ١١٤ .

الله تعالى يعطيه جزاء كبيرا على عمله فى الدنيا والآخرة .

٥ – وقوله تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** )(١) .

أى وليتعاون بعضكم مع بعض أيها المؤمنون ، على فعل الخير وجميع الطاعات ولا تعاونوا على المعاصى ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه إن الله شديد العقاب لمن خالفه .

والقرآن الكريم قد سبق بالدعوة إلى التعاون جميع التشريعات الوضعية التي تهدف إلى التعاون فى الخير بأكثر من ألف وأربعمائة عام .

٦ – وقوله تعالى : ( **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )(٢) .

٧ – وقوله تعالى : **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** )(٣) .

ففى هذه الآيات وصّى الله عباده بما عرف بالوصايا العشر ، فأمرهم ألا يشركوا بالله شيئا من خلقه ، وبالإحسان إلى الوالدين ، وألا يقتلوا أولادهم خشية الفقر ، لأن الله هو المتكفل برزق الآباء والابناء ، وألا يقربوا الفواحش وهى الأمور المتناهية فى القبح ما ظهر منها كالسرقة والزنا وما بطن كالحقد والحسد ، وألا يقتلوا

(١) سورة المائدة آية : ٢ .

(٢) سورة العصر

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١ : ١٥٣ .

النفس التى حرم الله قتلها ، كمسلم وذمى ومعاهد ومستأمن إلا بموجب شرعى . ونهاهم عن قرب مال اليتيم — بأكل ونحوه — إلا لمصلحة اليتيم كالتجارة فيه لتنميته ، وأمرهم بإيفاء الكيل والميزان فى حدود الوسع والطاقة ، فلا يأخذ أحد أكثر من حقه ، ولا ينقصه الآخر شيئا منه وبالعدل فى القول والشهادة والحكم والنصيحة والمشورة وفى التعليم والفتيا ، وفى كل شىء طريقة العدل ، ولو كان هذا العدل ضارا بذوى القربى والأصدقاء ، أو بالنفس ، كما أمرهم بالوفاء بالعهد وباتباع صراط الله المستقيم ، الذى لا يحيد عنه إلا هالك .

٨ – وقوله تعالى : ( **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** )[1] .

**والمعنى :** قل إنما حرم ربى المعاصى شديدة الفحش جهرها وسرها وكل ما يوجب إثما وذنبا فهو من عطف العام على الخاص ، والتسلط والتعدى على الغير من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص ، وحرم أن تعبدوا مع الله غيره وتتقربوا إليه بأى نوع من العبادات والقربات كالدعاء والنذر والذبح والخوف والرجاء . ونحو ذلك مما يجب أن يخلص العبد قلبه فيه لله ويسلم وجهه له ، حرم الله كل أنواع الشرك بلا حجة وبرهان فإن الحجة والبرهان قائمة على التحريم كما سبق البيان ، فقوله : ( **ما لم ينزل به سلطانا** ) قيد لبيان الواقع فإن كل ما عبد أو اتبع أو أطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان وحرم أن يتخذ من دونه سبحانه أولياء يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله فى عبادتهم ومعاملاتهم كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان حيث اتخذوهم أربابا من دون الله فى التشريع ، فأحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما أحل الله ، فاتبعوهم فى ذلك .

فالقول على الله بلا علم باب واسع جدا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة ، كنفى ما أثبته أو إثبات ما نفاه ، أو الإلحاد فى آياته بالتحريف والتأويل ، فهذه الآية جمعت قواعد الأخلاق ، وحددتها أدق تحديد ، فهذه

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

الأنواع الأربعة محرمة تحريما مطلقا لم يبح منها شيء لأحد من الخلق فى أى حال من الأحوال بخلاف الميتة والدم ولحم الخنزير فإنها تباح عند الضرورة .

٩ – وقوله تعالى : ( **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** )(١) .

فى الآية الأولى أمر الله نبيه ﷺ بثلاثة أشياء هى أسس عامة للشريعة الإسلامية فى الآداب النفسية والأحكام العملية وهى :

( أ ) **العفـو** : وهو السهل الذى لا كلفة فيه ، أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم فينفروا .

( ب ) **الأمر بالعرف** ، وهو كل مستحسن تعرفه العقول السليمة ، وتأنس به وتطمئن إليه ، وهذا مبنى على اعتبار عادات الأمة الحسنة ، وما تتواطأ عليه من الأمور النافعة فى مصالحها ، وإجمال القول فيه أنه اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس .

( جـ ) **والإعراض عن الجاهلين** ، وهم السفهاء بترك معاشرتهم وعـدم مماراتهم ومقابلة سفههم بمثله ، فإنه لا علاج للوقاية من أذاهم إلا الإعراض والبعد عنهم . وهذه الآية من أجمع الآيات لمكارم الأخلاق وقواعد الشريعة ، فقوله تعالى : ( **خذ العفو** ) إيماء إلى جانب اللين ونفى الحرج فى الأخذ والإعطاء وأمور التكليف .

وقوله تعالى : ( **وأمر بالعرف** ) تناول جميع المأمورات والمنهيات وهى ما عرف فى الشريعة حكمها واتفقت القلوب على علمها .

وقوله : ( **وأعرض عن الجاهلين** ) تناول جانب العفو والصفح بالصبر الذى يتأتى للعبد به كل مراده .

وفى الآية الثانية أمر الله نبيه إن عرضت له وسوسة من الشيطان تصرفه عما أمر به — كأن يغضب من لجاجة قومه بالشر — أن يستجير بالله منه ليصرفه عنه

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٩ ، ٢٠٠ .

لإنه سميع لكل ما يقع ، عليم به .

١٠ – وقوله تعالى : ( **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** )(١) .

أى وعباد الرحمن هم الذين يتواضعون فى الدنيا ، إذا مشوا على الأرض مشوا فى سكينة ووقار ، وكذلك فى سائر أعمالهم ، وإذا سابهم السفهاء من المشركين تركوهم وشانهم وقالوا لهم : لا شأن لنا بكم ، بل أمرنا سلام عليكم .

١١ – وقوله : ( **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** )(٢) ففى هذه الآية حذر الله من إثارة الفتنة والدس بين المسلمين والكيد لهم أشد تحذير ، لأن ذلك يقضى على الأمة ، ويقوض الكيان الإسلامى ، وتوعد من يقوم به بأشد أنواع الانتقام وأقسى العذاب .

١٢ – وقوله تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** )(٣) .

ففى هذه الآية حذر الله من موالاة أعداء الإسلام وموادتهم بأى أنواع الموالاة والمودة فإنه إثم كبير وظلم عظيم ، إذ فيه إضعاف للمسلمين وقضاء عليهم .

١٣ – وقوله : ( **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق(٤) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار(٥) والذين ينقضون عهد الله من بعد**

(١) سورة الفرقان آية : ٦٣ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٥ .
(٣) سورة المائدة آية : ٥١ .
(٤) العهد المؤكد .
(٥) العاقبة الحسنة التى تعقب دار الدنيا وهى الجنة .

**ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم اللعنة ولهم سوء الدار )**[٥] .

وقوله : ( **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون )**[٢] .

**والمعنى** : إن الله يأمر عباده بالعدل وهو المساواة والاعتدال فى كل شيء من غير تفريط ولا إفراط ، ثم بما هو فوق ذلك وهو الإحسان ، أى فعل الخير بدون مقابل ، أو إعطاء الناس أكثر من حقهم ، أو التنازل عما له قبلهم ، أو القيام بعمل زائد كيفية أو كمية عن الحق المطلوب ، أو الشرط المشروط ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر .

وينهى عن فعل كل خطيئة خصوصا الذنوب المفرطة فى القبح ، وكل ما تنكرم الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على حقوق الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم إلى الصالح من أموركم لعلكم تتذكرون فضله فى حسن توجيهكم فتمتثلوا أوامره ونواهيه .

١٥ - وقوله تعالى : ( **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**[١] .

١٦ - وقوله تعالى : ( **إن الإنسان خلق هلوعا**[٤] **. إذا مسه الشر جزوعا**[٥] **. وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم**

(١) سورة الرعد آية : ١٩ : ٢٥ .
(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ١ : ١١ .
(٤) سريع الجزع شديد الحرص .
(٥) كثير الجزع والأسى .

**الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون )**[1] . فقد احتوت آيات هذه السورة وآيات السورة السابقة الصفات الكريمة التى ينبغى أن يكون عليها المؤمنون الكاملون فى أخلاقهم ، وتبشيرهم بالفلاح المطلق الشامل للدنيا والآخرة .

١٧ – وقوله : ( **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما . إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا** )[2] .

**والمعنى** : ينهى الله عباده عن قول السوء ، إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن يشكو ظالمه ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه سميع لكلام المظلوم عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله ، إن تظهروا الخير أو تسروه ، أو تصفحوا عمن يسىء إليكم يثبكم الله لتخلقكم بأخلاقه تعالى من العفو والصفح مع كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٨ – وقوله : ( **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** )[3] .

**والمعنى** : إن الذين يحبون أن يفشوا ذكر القبائح فتفشوا معه القبائح نفسها بين المؤمنين لهم عذاب مؤلم فى الدنيا بالعقوبة المقررة ، وفى الآخرة بالنار إن لم يتوبوا . والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة والباطنة وأنتم لا تعلمون ما يعلمه .

وقال ﷺ : ( **كل أمتى معافى إلا المجاهرين** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة[4] .

(١) سورة المعارج آية : ١٩ : ٣٥ .
(٢) سورة النساء آية : ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٣) سورة النور آية : ١٩ .
(٤) اللؤلؤ ٣ / ٣٢٦ .

وقال ﷺ : ( **من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته** ) رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن ابن عباس[1] .

١٩ – وقوله تعالى – محذرا من الكبر والظلم والإفساد – : ( **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** )[2] . أى تلك الدار التى سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعل نعيمها وخيراتها للذين لا يريدون تكبرا وإعراضا عن الحق ولا ظلم الناس ومعصية الله ، والعاقبة المحمودة – وهى الجنة – لمن اتقى عذاب الله بعمل الصالحات وترك المحرمات ، ولم يك كفر عون فى الاستكبار على الله ، ولا كفارون فى إرادة الفساد فى الأرض .

٢٠ – وقوله : **ولا تصعر خدك للناس[3] ولا تمش فى الأرض مرحا[4] إن الله لا يحب كل مختال[5] فخور . واقصد[6] فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** )[7] لقد نهى الله فى الآية الأولى عن الكبر والعجب حتى لا تكون هناك هوة بين أفراد الشعب ، وبينهم وبين حاكمهم تؤدى إلى فصم عرى الجماعة وتفتيت وحدتها فتذهب ريحها ويضعف أمرها ، ونحو هذه الآية قوله تعالى : ( **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** )[8] .

وفى الآية الثانية أمره بالتوسط فى المشى ورفع الصوت ، لأن الإسراع فى المشى يذهب ببهاء الماشى ووقاره والإبطاء مضيع للوقت معطل للمصالح معوق عن التقدم .

ورفع الصوت بلا حاجة فيه امتهان للمتحدث وإزعاج للسامع ونقص

---

(١) الترغيب ٣ / ٩٨ .
(٢) سورة القصص آية : ٨٣ .
(٣) لا تمله عن الناس تكبرا عليهم .
(٤) متبخترا .
(٥) متكبر يتخيل أنه له مزية ليست عند غيره .
(٦) توسط .
(٧) سورة لقمان آية : ١٨ ، ١٩ .
(٨) سورة الإسراء آية : ٣٧ .

لاستكمال التفكير وسبيل إلى الخطأ ، كما أن خفضه أكثر من اللازم دليل على التماوت والضعف ، وتفويت للغرض وللفائدة منه .

وإذا كان ظاهر القول يأمر بغض الصوت فإن مفهومه يأمر بعدم الخفض إلى حد التماوت والضعف .

وقال ﷺ : (**لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**) فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا . قال : ( **إن الله جميل يحب الجمال**[1] **الكبر بطر الحق**[2] **وغمط الناس** )[3] رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود[4] .

٢١ – وشدد الله علينا الأمر بإصلاح ذات البين وراب الصدع إن حصل فيه خلل بقوله : ( **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**[5] **وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** )[6] .

**٢٢ – وعلمنا أن إصلاح ما بين المتنازعين يكون بإقامة الحق والعدل بينهما كرد الباغى بقوله : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون )**[7] .

٢٣ – ونهانا الله عن كل أسباب الشقاق والتقاطع وتمزيق الوحدة من احتقار الغير ، أوعيبه أو دعائه بما يكره من الألقاب فإنه ظلم .

كما نهانا عن ظن السوء بأهل الخير ، وتتبع عوراتهم ، وذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون ودعانا إلى امتثال أمره واجتناب نهيه وإلى الرجوع إليه تائبين مخلصين بقوله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا**

---

(١) أى ليس ذلك من الكبر .
(٢) رفعه ورده على قائله .
(٣) احتقارهم .
(٤) رياض الصالحين ٢٧٧ .
(٥) أى أصلحوا ما بينكم .
(٦) أول سورة الأنفال .
(٧) سورة الحجرات آية : ٩ ، ١٠ .

**منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم**[1] **ولا تنابزوا بالألقاب**[2] بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم[3] ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم )[4] .

وقال ﷺ : ( **لا تحاسدوا ولا تناجشوا**[5] **ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه** ) رواه مسلم عن أبي هريرة[6] وهكذا دعا القرآن إلى كل خير وبر وفلاح ، كما قال تعالى : ( **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ) وحذر من كل مفسدة وشر ، واستهدف إصلاح الإنسان فى أخلاقه الشخصية والاجتماعية . وإصلاح المجتمع البشرى وتوجيه الإنسان ومجتمعه إلى الخير والحق والكمال .

---

(١) ولا يعب بعضكم بعضا .
(٢) ولا يدع أحدكم أخاه بما يستكره من الألقاب .
(٣) إن بعض الظن يستوجب العقوبة .
(٤) سورة الحجرات آية : ١١ ، ١٢ .
(٥) لا تزيدوا فى السلعة بلا رغبة فى شرائها بل لتغروا غيركم .
(٦) فى ١٦ / ١٢٠ .

# الفصل الرابع

# الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وبه تسعة مباحث

- معنى المعروف والمنكر .
- حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأدلته .
- أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- كيفية القيام بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- ما يشترط فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .
- ما يطلب منه .
- مراتب تغيير المنكر .
- واجب العلماء .
- مواقف السلف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

# معنى المعروف والمنكر

قال الراغب : المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده الإنكار ...

والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه ، والمنكر : ما ينكر بهما ، قال تعالى : ( **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ) ، وقال : ( **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** ) ، ( **وقلن قولا معروفا** ) ، ولهذا قيل للاقتصاد فى الجود معروف لما كان ذلك مستحسنا فى العقول ، وبالشرع نحو : ( **ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** ) ( **إلا من أمر بصدقة أو معروف** ) ( **وللمطلقات متاع بالمعروف** ) أى بالاقتصاد والإحسان . أ هـ

ويتضح من ذلك أن كل ما تعارف عليه أهل الحل والعقد ، والعلم والرأى فى الأمة فى ضوء الكتاب والسنة فى ظرف وعصر على أنه من باب المعروف مما لم يرد فيه قرآن أو سنة فهو كذلك .

وكل ما تعارفوا عليه على أنه من باب المنكر مما لم يرد فيه قرآن أو سنة فهو كذلك ،وهما لفظان عامان ، يتناول أولهما كل ما هو متعارف على أنه نافع وخير من أخلاق وعادات ، وأعمال وأقوال تعود فائدتها وبركتها على الأفراد أو المجتمعات ، ويتناول ثانيهما كل ما هو متعارف على أنه شر وضار وسيء من أخلاق وعادات ، وأعمال وأقوال يعود وبالها وضررها على الأفراد أو المجتمعات كذلك ، ولقد ذكر المعروف فى آيات عديدة دالا على هذا المعنى مثل قوله تعالى : ( **فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** )[1] وقوله : ( **فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف** )[2]وقوله : ( **ولا يعصينك فى معروف** )[3] وتأييد القرآن لعمومية

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٤ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ١٢ .

المعروف يفيد عمومية المنكر أيضا ، وعلى كل حال فجميع المأمورات فى الكتاب والسنة معروف ، وجميع المنهيات فيهما منكر .

هذا وكل من المعروف والمنكر يقع فى العقائد والأقوال والأفعال . فالأول كتوحيد الله والإيمان بسائر أسمائه تعالى وصفاته ، وأداء الشهادة وتعليم الجاهل ، والانتفاع بالمخترعات وعلاج المرضى .

والثانى : كالشرك بالله والإيمان بالخرافات مثل الزار والتمائم ومثل شهادة الزور والغيبة والنميمة ، ومثل لطم الخدود ، وشق الجيوب .

وهما متلازمان فى التشريع القرآنى ، فما يذكر أحدهما فى آية من آيات القرآن حتى يذكر الآخر معه ، ومتلازمان فى أقوال الناس وفى واقع الحياة ، فما من معروف يؤمر به إلا كان فى ضمنه منكر ينهى عنه .

وهذه الحقيقة المزدوجة بالإيجاب والسلب ، والإثبات والنفى هى ميزة هذه الأمة الإسلامية التى كانت بها خير أمة أخرجت للناس ، وسمتها التى فضلت بها على غيرها كما قال تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** )(١) .

## حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأدلته :

الوجوب الكفائى على كل مسلم مكلف ، أفرادا وجماعات كل فى نطاق قدرته واستطاعته وذلك عند تعدد المستوفين لشروط الوجوب الصالحين للقيام به ، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع ، فإن لم يتعددوا كان واجبا عينيا ، ولأنه قوام إصلاح الأفراد والمجتمعات كانت أدلة وجوبه كثيرة منها :

١ – قوله تعالى : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** )(٢) فهذا أمر ، والأمر ظاهره وأصله

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

الوجوب ، ومن تبعيضية ، أى ولتكن منكم فرقة يدعون إلى كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى ويأمرون بالطاعة وينهون عن المعصية ، وأولئك هم الفائزون فوزا كاملا .

وعطف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الخير مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام إظهارا لفضلهما وشرفهما على سائر الخيرات ، وأنهما الفردان الكاملان من الخير الذى أمر الله عباده بالدعاء إليه ، وأن المسلم المقصر فى فعل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتضامن فى ذلك مقصر فى أمر دينى واجب من أهم الواجبات ويستحق سخط الله ، فضلا عن إيراثه الوهن والضعف فى البنيان الاجتماعى .

٢ - وقوله تعالى : ( **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )(١) فقد رتب الله النجاة من الخسران على الإيمان والعمل الصالح ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والتواصى بالحق والصبر هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنجاة من الخسران وهو الهلاك لا تترتب إلا على فعل واجب .

٣ - وقوله تعالى : ( **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** )(٢) فقد رتب الله اللعن على ترك القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو لا يترتب إلا على ترك واجب .

٤ - ولأنه قرن بالصلاة والزكاة فى قوله تعالى : ( **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالعروف ونهوا عن المنكر** )(٣) وهما فريضتان وما قرن بهما يأخذ حكمهما .

---

(١) سورة العصر .

(٢) سورة المائدة آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سورة الحج آية : ٤١ .

٥ – ولأن الله جعله من أخص صفات المؤمنين فى قوله تعالى : ( **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** )[١] وكل ما ذكر معه واجب فهو من باب أولى .

٦ – وفى قوله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** )[٢] أمر بالمعروف وهو إقامة العدل والأمر للوجوب .

٧ – ولأن الله أوجب التعاون على البر والتقوى بقوله تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** )[٣] وهذا التعاون أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو واجب تبعا لذلك .

٨ – وبين الله بقوله تعالى : ( **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** )[٤] أنه نجى الذين ينهون عن المنكر وأخذ غيرهم بالعذاب . وهذا دليل على وجوب القيام بالنهى عن المنكر وإلا لما عذب التارك له .

٩ – كما بين الله بقوله تعالى : ( **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم** )[٥] أنه أهلك الذين لم ينهوا عن الفساد فى الأرض إلا القليل الذى قام بالنهى عنه ، والهلاك لا يقع إلا لترك واجب مؤكد .

١٠ – ولأن الله ذم الربانيين والأحبار التاركين النهى عن المنكر أقبح الذم فقال تعالى : ( **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** )[٦] وذلك لا يكون إلا على ترك واجب مؤكد .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٢) سورة النساء آية : ١٣٥ .
(٣) سورة المائدة آية : ٢ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٥) سورة هود آية : ١١٦ .
(٦) سورة المائدة آية : ٦٣ .

١١ – ولأن الله رفع به هذه الأمة إلى أعلى درجات الفضل والامتياز فقال تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** )[١] وذلك لا يكون إلا بأمر بلغ أقصى درجات الوجوب .

**والمعنى** : أنتم خير أمة فى الوجود الآن لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله إيمانا صادقا يظهر أثره فى نفوسكم ، فيمنعكم من الشر ويصرفكم إلى الخير ، وغيركم من الأمم قد غلب عليهم الشر والفساد ، فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، ولا يؤمنون بالله إيمانا صحيحا .

وهذا وصف يصدق على الذين خوطبوا به أولاهم النبى ﷺ وأصحابه الذين كانوا معه وقت التنزيل ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

وهذه الصفات وإن شاركتها فيها سائر الأمم ، فهى لم تكن فيها على الوجه الذى كان لهذه الأمة فالأمر بالمعروف كان فيها على آكد وجوهه ، وهو القتال إذا دعت إليه الحاجة ، وقد يحصل بالقلب واللسان ولكن أقواها ما كان بالقتال ، لأنه إلقاء للنفس فى خطر الهلاك .

وقدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الإيمان بالله فى الذكر مع أن الإيمان مقدم على كل الطاعات لأنهما سياج الإيمان وحفاظه ، فكان تقديمهما فى الذكر موافقا للمعهود عند الناس فى جعل سياج كل شيء مقدما عليه .

١٢ – وقال الغزالى : قال تعالى : **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ) **والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة ، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال** :

( **فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله** )[٢] وذلك هو النهى عن المنكر[٣] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٣) الإحياء ٢ / ٣٠٣ .

١٣ – ووعد الله القائمين به بالأجر العظيم فقال تعالى : ( **لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** )(١) **وذلك لا يكون إلا على القيام بواجب كبير .**

١٤ – وقوله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون** )(٢) فهذا نهى عن التناجى بالمنكر وأمر بالتناجى بالمعروف والأصل فى النهى التحريم وفى الأمر الوجوب .

١٥ – وقوله ﷺ : ( **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** ) أخرجه الخمسة إلا البخارى عن أبى سعيد الخدرى(٣) وهذا لفظ مسلم(٤) .

١٦ – وقوله ﷺ : ( **والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** ) رواه الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه وقال : حديث حسن(٥) والعقاب الجماعى لا يكون إلا على ترك واجب له خطره على المجتمع .

١٧ – وعن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : ( **الدين النصيحة** ) قلنا لمن ؟ قال ( **لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** ) رواه مسلم(٦) .

١٨ – وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ ( **على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم** ) متفق عليه(٧) ، وما النصيحة إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر .

---

(١) سورة النساء آية : ١١٤ .
(٢) سورة المجادلة آية : ٩ .
(٣) تيسير ١ / ٣١ .
(٤) ق ٢ / ٢٢ .
(٥) رياض الصالحين ١١١ .
(٦) ق ٢ / ٣٧ .
(٧) رياض الصالحين ١٠٦ .

١٩ – وعن أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : ( **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم** ) متفق عليه[١] .

٢٠ – وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون[٢] وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف[٣] من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** ) **رواه مسلم**[٤] .

٢١ – وقوله ﷺ ــ حاثا على التضامن فى دفع الشر وجلب الخير ــ ( **مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أراد واهلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** ) رواه البخارى عن النعمان بن بشير[٥].والتضامن فى دفع الشر عن المجتمع وجلب الخير له من أكبر الواجبات ، ولا ينافى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** )[٦] ، لأن معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما وجب عليكم فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى : ( **ولا تزر وازرة وزر أخرى** )[٧] ومما وجب علينا الأمر

(١) رياض الصالحين ١٠٨ .

(٢) هم خلصاء الأنبياء وأصفياؤهم .

(٣) تخلف بضم اللام ، أى تحدث ، وخلوف بضم الخاء جمع خلف بإسكان اللام ، وهو المخالف بشر .

(٤) فى ٢ / ٢٧ .

(٥) رياض الصالحين ١٠٩ .

(٦) سورة المائدة آية : ١٠٥ .

(٧) سورة فاطر آية : ١٨ .

بالمعروف والنهى عن المنكر إذ لا يكون المرء مهتديا مع تركه لهذه الفريضة ، فإذا قام بها ولم يمتثل المخاطب فلا جناح عليه بعد ذلك لأنه أدى ما عليه وهو القول لا القبول ، وهذه شبهة قديمة عرضت للناس فى الصدر الأول فقد روى أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ( **يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ) ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه** )[1] .

وهكذا قامت الأدلة العديدة مؤكدة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب من آكد الواجبات لأنه قوام إصلاح الأخلاق وأنه من الدين بمكان القطب من الرحى ، وأن التضامن فيه واجب كذلك بالإضافة إلى واجب الدولة والقائمين بأمرها ، وأن التقصير فى هذا موجب لسخط الله ، فضلا عن أنه مؤد إلى إهمال المعروف وانتشار المنكر الذى فيه ضرر كلى للمجتمع الإنسانى أجمع .

**وأما أدلة كونه واجبا كفائيا فمنها :**

١ – أن مِنْ فى قوله تعالى ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ) للتبعيض عند غالب المفسرين ، وليست للبيان كما ذهب إليه الإمام محمد عبده ومن سار على نهجه بدليل قوله تعالى : ( **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** )[2] وإلا لقال ولتكونوا كلكم داعين إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .

٢ – أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المصالح العامة ، كالجهاد فى سبيل الله كل سنة فى غير حالات التعيين ، وإقامة موسم الحج كل سنة ( **بالبيت وعرفة ومنى وسائر المشاهد** ) والفتوى والقضاء والشهادة تحملا وأداء، وتجهيز الميت والصلاة عليه ، وفك الأسير من الحربيين ، ودفع الضر عن المسلمين

(١) رياض الصالحين ١١٣ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

وأهل الذمة ، ونحو ذلك وكلها من فروض الكفاية فيكون مثلها .

٣ - ولأنه تواتر فى السنة أن الرسول ﷺ كان يرسل بعض أصحابه دون بعض إلى الجهات النائية لدعوة الناس إلى الإسلام وتعليمهم أمور دينهم ولم يرسل الجميع تماما كما كان يفعل فى الجهاد .

٤ - ولأن قيام جماعة متعددة بهذه المهمة فى وقت واحد لجماعة واحدة محدودة عبث لا مبرر له .

ولذا قال الإمام النووى[١] : ثم إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط عن الباقين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم إنه قد يتعين كما إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو ، أولا يتمكن من إزالته إلا هو ، وكمن يرى زوجته أو ولده ، أو غلامه على منكر أو تقصير فى المعروف أ هـ . وقال الإمام الزمخشرى فى تفسيره[٢] لقوله تعالى : ( **ولتكن منكم أمة** ) من للتبعيض ، لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته ، وكيف يباشره ، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وربما عرف الحكم فى مذهبه ، وجهله فى مذهب صاحبه ، فنهاه عن غير منكر ، وقد يغلظ فى موضع اللين ، ويلين فى موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا ، أو على من الإنكار عليه عبث ، كالإنكار على أصحاب المآصر[٣] والجلادين وأضرابهم .

وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون ، كقوله تعالى ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ) ، أ هـ وقال أبو السعود فى تفسيره[٤] لقوله تعالى : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** )

---

(١) فى شرح مسلم ٢ / ٢٣ .
(٢) فى ١ / ٤٥٢ .
(٣) الذنوب الثقيلة .
(٤) فى ١ / ٢٥٩ .

فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين ، ولو أخل بها الكل أثموا جميعا ، لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ما ينبىء عنه قوله عز وجل : ( **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ) الآية ، ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التى لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ، ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها ، فإن من لايعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ، ويغلظ فى مقام اللين ، ويلين فى مقام الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادى والإصرار .

وقيل من بيانية كما فى قوله تعالى : ( **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم** ) الآية ، والأمر من كان الناقصة ، والمعنى : كونوا أمة يدعون :الآية كقوله تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ) ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين ، فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة . أ هـ .

أقول : ويجوز كون من بيانة — كما ذهب إليه بعض المفسرين — ويكون الخطاب موجها إلى البعض فى شخص الكل من باب التضامن والتكافل فى القيام بالمصالح والواجبات العامة والأمور المهمة الواجبة للأمة على بعضها ، كما فى قوله تعالى : ( **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله** )[1] .

فإن الخطاب وإن كان فى ظاهره موجها إلى الجميع لكن المقصود به القادرون ، ومن يعينهم الإمام . وكما فى قوله تعالى : ( **وآتوا الزكاة** )[2] فإن الأمر موجه إلى الجميع مع أن الزكاة لا تجب إلا على المالك لنصابها والمستوفى لشروط وجوبها .

(١) سورة التوبة آية : ٤١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١١٠ .

# أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام أهمية كبيرة ومنزلة عظيمة يدل عليها ما يأتى :

١ – أنهما القطب الأعظم فى الدين ، والمهم الذى بعث الله له النبيين والمرسلين . ولو أهمل أمره لاضمحل الدين ، وفشا الضلال وعم الفساد ، وهلك العباد ، وساء حال البشر جميعا .

٢ – أنهما أساس دعائم الإصلاح فى الإسلام التى قام عليها بناؤه فى جميع أدوار حياته ولباب الدعوة الإسلامية وقوامها كما قال تعالى : ( **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** )[١]

فالدين الإسلامى فى أوامره ونواهيه ليس إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر ، بل هما عماد إصلاح العالم كله ، لو استطاع الناس أن يقيموا ميزانهما بالحق والعدل لعزوا وسعدوا ، وعاشوا حياة هنيئة فى الدنيا والآخرة .

٣ – أنهما جهاد فى سبيل الحق والخير والعدل والإيمان والأمن والأمان باليد والقلب واللسان ، وأصل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ( **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )[٢] .

فلا فلاح للإنسان فى دين أو دنيا إلا إذا اجتمع له إيمان مع عمل صالح ، وتواص بالحق وتواص بالصبر ، وهما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٢) سورة العصر .

٤ – أن فى القيام بهما على الوجه المطلوب نهاية الكمال الذى يطالبنا به الإسلام وهو تكميل أنفسنا ثم تكميل غيرنا كما جاء فى سورة ( والعصر ) وكما فى قوله تعالى : ( **يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** )[1] فبعد أن أمره بتكميل نفسه توفية لحق الله عليه أمره بتكميل غيره .

٥ – أنهما ميزة هذه الأمة وسمتها ، ومناط عزتها وكرامتها ، والأصل الذى تقوم عليه دعوة الخير قال تعالى ( كنتم خير **أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** )[2] .

فأصل الخير فى هذه الأمة هو التزامها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فذلك الذى تعلو به ، وهو الذى يطهر مجتمعها من أدران الفساد ويحميها من الانهيار ، وإن كل أمة تعلو ما كان فيها التعاون على الخير ودفع الشر ، وإقامة مصالح العباد ، ودرء الفساد،ولقد وصف الله — سبحانه — من فيهم خير من أهل الكتاب بأنهم أقاموا نظام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال : ( من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات )[3] .

وبين — سبحانه — أن انحطاط الأمم وتأخرها فى إهمالها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعدم التعاون على الخير ودفع الشر فقال : ( **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** )[4] .

٦ – أن الله — جل وعلا — جعلهما فضيلة الفضائل الاجتماعية التى يرتفع على دعائمها إصلاح المجتمع وبقاء الدين حيا ، وعنوانا للتكافل والتضامن الاجتماعى على جلب الخير ودفع الشر الذى تخاطب به الأمة كلها خطاب تكليف فقال : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**

---

(١) سورة لقمان آية : ١٧ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٣ ، ١١٤ .
(٤) سورة المائدة آية : ٧٨ ، ٧٩ .

**وأولئك هم المفلحون** )[1]فإذا قام به أهل الكفاية منها كانت لها خلافة الله فى الأرض ، وكانت خير أمة أخرجت للناس ، وما فى العالم من شر وفساد ، وخراب ودمار وتقاتل وتناحر وسوء أخلاق سببه عدم القيام بهذا الواجب ، وترك التعاون على جلب الخير ودفع العدوان .

فإن إيجاد رأى عام فاضل يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يردع المفسدين فى الأرض ، ويوقف المعتدين عند حدودهم .

٧ – أنهما من أسس ودعائم التمكين فى الأرض كيانا وسلطانا ورفاهية ونجاحا ، قال تعالى : ( **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** )[2] .

٨ – أنهما من أعظم أساليب التربية الأخلاقية فى القرآن حيث بهما يبين الخير وفوائده ويرغب فيه ويحث عليه . ويبين الشر وأضراره وينفر منه .

٩ – أنهما حفاظ الجامعة الإسلامية ، وسياج الوحدة الإنسانية فإن الناس إذا تركوا دعوة الخير ، وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكر خرجوا عن معنى الأمة ، وكانوا أفذاذ امتفرقين لا جامعة لهم ولا شمل يجمعهم ، ولذا ضرب الرسول ﷺ مثلا للمداهن فى الحديث السابق ، فقال : ( **مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وأهلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** ) رواه البخارى .

١٠ – أنهما من أهم وأحسن أمور الدين وأعظمها أجرا قال تعالى : ( **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين** )[3] وقال

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة الحج آية : ٤١ .

(٣) فصلت ٣٣ .

ﷺ : ( **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[1] .

١١ –وأن القائمين بهما خير الناس وأفضلهم كما فى الآية السابقة ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) وقوله ﷺ : ( **أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** ) رواه أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى وقال : حديث حسن . ولما سأله رجل أى الجهاد أفضل ؟ قال ( **كلمة حق عند سلطان جائر** ) رواه النسائى بإسناد صحيح عن طارق بن شهاب رضى الله عنه[2] .

١٢ – أن ترك القيام بهما يؤدى إلى انحدار المجتمع وسوء العاقبة ، وغضب الله وشمول العذاب لمن كان منحرفا ، ولمن كان ساكتا عن الانحراف ، قال تعالى : ( **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** )[3] وقال : ( **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** )[4] .

وقال ﷺ — معلقا على هاتين الآيتين والآيتين بعدهما : ( **كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا[5] ، ولتقصرنه على الحق قصرا[6] أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم** ) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن عن ابن مسعود وهذا لفظ أبى داود[7] .

( **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** )[8]

---

(١) ق ١٦ / ٢٢٧ .

(٢) رياض الصالحين ١١١ .

(٣) الأنفال ٢٥ .

(٤) المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) لتعطفنه عليه .

(٦) لتحبسنه عليه .

(٧) رياض الصالحين ١١٢ .

(٨) الأعراف ١٦٥ .

وقال : — ناعيا على علماء اليهود وأحبارهم ، ومسجلا عليهم الإثم بتركهم نهى العامة عن المنكر — : ( **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** )[1] وقال فى مقام أعم وأشمل : ( **فلولا كان من القرون من قبلكم أو لو ابقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين** )[2] .

**والمعنى** : ما كان من الأمم الماضية أصحاب دين وفضل ينهون عن الفساد فى الأرض ، فاستأصلنا شأفتهم بصب العذاب عليهم لعدم وجود من ينهاهم عن الفساد فى الأرض إلا قليلا كانوا يقومون بهذا الواجب الاجتماعى فأنجيناهم ، واتبع الذين ظلموا بالفساد وترك النهى ما نعموا فيه ، وكانوا فى إيثارهم لهذه الطريق غارقين فى الذنوب والسيئات فأهلكناهم تنفيذا لسنة الله فى خلقه .

١٤ – قال الإمام الجوينى إمام الحرمين : الشرع كله أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والدعاء إلى ذلك يثبت لكافة المسلمين إذا أقدموا على بصيرة ، وليس للرعية إلا الوعظ والترغيب[3]، وقال الإمام الغزالى[4] : فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة وعمت الفتن ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد .

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٣ .

(٢) سورة هود آية : ١١٦ .

(٣) هامش الأمر بالمعروف لأبى بكر الخلال ٩٤ .

(٤) فى الإحياء ٢ / ٣٠٢ .

# كيفية القيام بهما

ليس فى القرآن أو السنة تحديد لكيفية القيام بهذا الواجب مما يفيد أن ذلك متروك للمسلمين حسب المصلحة والحكمة ، ولذلك يرى كثير من ذوى الرأى أن الدعوة إلى الخير ثلاثة أنواع :

١ – دعوة الأمة الإسلامية جميع الأمم إلى الدخول فى الإسلام ، ويقوم بهذا خواص الأمة العارفون بالدين الإسلامى وأحكامه .

٢ – دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ويقوم بهذا المؤهلون لذلك .

٣ – دعوة الأفراد بعضهم بعضا بالدلالة على الخير ، والترغيب فيه ، والنهى عن الشر ، والتحذير منه ، كل بما يعرفه ، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر معروف له نهاه عنه ، وإذا رآه تاركا لأمر مشروع أمره به .

**مايشترط فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر :**

١ – أن يكون عالما بما يأمر به وما ينهى عنه .

٢ – التحقق من المنكر قبل تغييره ، ومن تحريم الشىء قبل النهى عنه قال تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا**[١] **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا** )[٢] وهذا مما لم يسمع بمثله فى تاريخ أمة من الأمم مهما بلغت من الحضارة والتقدم وخاصة فى الحروب الدينية التى يقتل فيها الرجل أباه وأخاه دون مبالاة ، مع أنه قد ثبت للمسلمين أن الكافرين كثيرا ما كانوا يستفيدون من هذه السماحة فيظهرون الاستسلام والسيف يهوى على أعناقهم ، ومتى زال عنهم الخطر عادوا إلى خصومتهم .

(١) تثبتوا حتى لا تهدروا دماء خطأ .

(٢) سورة النساء آية : ٩٤ .

٣ – وألا يؤدى إلى ارتكاب ما هو أعظم منه مفسدة ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أشد منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لايسوغ إنكاره ، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، فقد كانت الأصنام تعبد ومعلقة بالكعبة وهو يطوف حولها ، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده إلى قواعد إبراهيم ﷺ ومنعه من ذلك — مع قدرته عليه — خشية وقوع ما هو أعظم منه من ارتداد قريش إلى الكفر لقرب عهدهم به .

٤ – وألا يغلب على ظنه أن المنهى يزيد فى المنكر عنادا ، قال ابن تيمية ، مررت أنا وبعض أصحابى فى زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معى ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال فدعهم[1] .

٥ – وأن يكون المنكر مجمعا على تحريمه ، أو مختلفا فيه ومرتكبه يرى تحريمه وإلا فلا يعترض فى الاجتهاد بمذهب على مذهب .

٦ – وألا يخاف على نفسه أو ماله ضررا لا يحتمل عادة .

٧ – وأن يظن الإفادة ، وإلا فلا يجب .

**ما يطلب منه :**

يطلب منه الرفق فى الأمر والنهى ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب ، فقد قال تعالى لموسى وهارون — عليهما السلام — : ( **اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** )[2] **وقال تعالى** : ( **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** )[3] .

(١) إعلام الموقعين ٣ / ٥ .

(٢) سورة طه آية : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) سورة النحل آية : ١٢٥ .

وقال ﷺ : ( **إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف**[1] **وما لا يعطى على ما سواه** ) وقال : ( **إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه** ) رواهما مسلم عن عائشة رضى الله عنها . وقال : ( **من يحرم الرفق يحرم الخير كله** ) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه[2] . وقال الإمام الشافعى : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[3] . وذلك فى غير المعلن عن فسقه وفجوره ، وإلا وجب نهيه علنا .

٢ – أن يكون مثلا أعلى فى الاستقامة والخلق الفاضل متمسكا بما يدعو إليه فالناس يتأثرون بالأعمال قبل الأقوال . ولهذا كان ﷺ داعيا إلى الله بأخلاقه وأعماله قبل أن يكون داعيا بأقواله .

٣ – وألا يواجه أحدا بعينه بما هو فيه عندما يريد موعظته وزجره عن شىء مادام فى الموعظة العامة كفاية فقد كان ﷺ لا يواجه أحدا يعيوبه ما دام يجد فى ذلك مندوحة .

٤ – إقناع المنحرفين عن الحق بالحجة والبرهان ليعودوا إلى الصواب مطمئنين .

٥ – وتأليفهم بالصبر على الأذى وترك الشدة فى موضع المؤاخذة .

**مراتب تغيير المنكر :**

قال ﷺ : ( **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** ) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى[4] .

---

(١) الشدة والمشقة .

(٢) الثلاثة فى رياض الصالحين ٢٨٣ .

(٣) النووى على مسلم ٢ / ٢٤ .

(٤) ق ٢ / ٢٢ .

**فالمرتبة الأولى** : التغيير باليد بأن يسعى فى إزالته بكل وسيلة — يقوى عليها — فصاحب السلطان فى الأمة أو الولاية ، أو الإقليم أو المدرسة أو الأسرة يغير باليد ، فكل منهم مسئول عن رعيته ، ومن لم يقم بذلك حمل وزره ووزر من أضله .

وهذا العموم فى غير الإنكار بالقتل ، وأما هو فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ، ومعهم عدتها .

وليبتدىء بالأخف ثم يتدرج إلى ما فوقه وهو الأصعب قال : تعالى : ( **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** )[1] .

فقد أمر الله بالأخف وهو الصلح ، ثم بالأشد وهو القتال حتى ترجع بفيئها إلى الحق ، ولذا لما قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : ياأبت مالك لا تنفذ فى الأمور ؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق ، قال له عمر : لاتعجل يابنى فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذلك فتنة[2] .

**والمرتبة الثانية** : التغيير باللسان ، بأن يقول ما يكون سببا فى إزالته أو منع وقوعه ، بأن يعظ وينصح أو يزجر ، أو يستغيث ، أو يشكو إلى حاكم على حسب ما تقتضيه الحال .

**والمرتبة الثالثة** : التغيير بالقلب بأن يبغض فعل المنكر وينكره بقلبه ، ويتمنى لو كان قادرا على إزالته ، ويقاطع فاعله ، ويترك مجالسته ومعاملته وإقراءه السلام والرد عليه ، كما فعل ﷺ وأصحابه مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . وحال بغض المنكر وإنكاره بالقلب هى أضعف أحوال الإيمان حيث يكون الإيمان

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٢) العقد الفريد ٥ / ١٧٣ .

قد انحط عند المؤمنين . إلى حال هى أضعف أحواله ، إذا لم يقدر أحد على تغيير المنكر باليد ولا باللسان فاكتفى بالإنكار بقلبه

وكثير من العلماء يرى أن المراتب الثلاث على التوزيع ، فمرتبة اليد وكل ما يحتاج إلى الهيمنة والتنفيذ وبذل القوة يقوم به السلطان ومن فى حكمه ، لأن السلطان هو صاحب التنفيذ الشرعى إذ هو المكلف بإقامة الحدود ، وله حق التعزير .

ومرتبة اللسان : إنما تكون للعلماء لأنهم هم الذين يميزون المعروف فيأمرون به ، ويعرفون المنكر فينهون عنه ، ويتخذون لكل حالة أسلوبها من اللين والشدة ، ويقدرون الوقائع ، ويعرفون اختلاف المجتهدين فيها وفى أحكامها ، وهم الذين يمكنهم حملها على محاملها الصحيحة ، ومرتبة الإنكار بالقلب حظ العامة من الناس .

**واجب العلمـــاء :**

وإذا كان واجب ذوى السلطان وولاة أمور المسلمين وحكامهم ممن مكنهم الله فى الأرض عظيما ومسئوليتهم عند الله خطيرة ، فإن واجب العلماء أعظم ومسئوليتهم أخطر ، لأن الله تعالى أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا للناس دين الله فى غير مداهنة ، وأن يعلموهم شرائعه كما أنزلها بعيدة عن الإفراط والتفريط ، وأن يكونوا فى سمتهم وسلوكهم قدوة فى أخذ أنفسهم بالعمل بما يقولون من خير وهدى قال تعالى : مؤكدا واجب العلماء : .

( **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** )[1] .

فكل من علم شيئا من الكتاب وجب عليه أن يعلمه لغيره ، وليحذر من كتمانه ، فإن فيه الهلاك .

والأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجبا فواجب ، وإن كان ندبا فندب ، وأما النهى عن المنكر فواجب كله على من يستطيعه كما سبق ؛ لأن جميع المنكر تركه واجب لا تصافه بالقبح

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

# مواقف السلف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

**هذا** . وللسلف الصالح مواقف حميدة ومشرفة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد كانوا لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، فإذا رأوا معروفا يعطل ، أو منكرا يرتكب بادروا بالدعوة إلى القيام بالمعروف ، وإلى إنكار المنكر والأمر بتركه ، فمن ذلك :

١ – مارواه مسلم عن طارق بن شهاب[١] قال : ( أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة . فقال : قد ترك ما هنا لك . فقال : أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** ) .

وما رواه مسلم أيضا عن الحسن[٢] : ( أن عائذ بن عمرو — وكان من أصحاب رسول الله ﷺ — دخل على عبيد الله بن زياد ، فقال :أى بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **إن شر الرعاء الحطمة**[٣] ) فإياك أن تكون منهم ، فقال له : اجلس ، فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ . **فقال :** وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم ) .

٣ – وما رواه الشيخان عن الحسن أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار فى مرضه الذى مات فيه فقال له معقل : إنى محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ . سمعت النبى ﷺ يقول : ( **ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة** )[٤] .

(١) ق ٢ / ٢١ .

(٢) ق ١٢ / ٢١٥ .

(٣) هو العنيف فى رعيته الذى لا يرفق بها فى سوقها ومرعاها ، بل يحطمها فى ذلك ، وفى سقيها ، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها .

(٤) اللؤلؤ ١ / ٢٧ .

٤ – وما رواه أبو بكر بن أبى شيبة قال : قام أبو هريرة إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال له : أتظل عند ابنة فلان تُرَوِّحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم[١] .

٥ – وما رواه بن أبى حاتم عن مالك بن أنس عن عبد الله بن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على عير لأهل الشام وفيها جرس ، فقال : إن هذا منهى عنه ، فقالوا : نحن أعلم بهذا منك إنما يكره الجلجل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به ، فسكت سالم وقال ، ( وأعرض عن الجاهلين )[٢] .

٦ – ويذكر التاريخ أن خراج مصر نقص فى عهد عمر بن عبد العزيز لدخول الأقباط أفواجا فى دين الله ، فاقترح والى مصر على الخليفة ألا يعفى الذين يدخلون فى الإسلام من الجزية ، ولكن الخليفة أبى أن يجيب هذا الوالى إلى طلبه وقال له : ( إن الله بعث محمدا ﷺ داعيا ولم يبعثه جابيا ) .

وألغى بعض الضرائب التعسفية المفروضة على المسلمين وغيرهم ، وقدم للشعوب لونا من ألوان الإغراء لقبول الإسلام ، فقد أعطى فى أحد المناسبات ألفى دينار لقائد نصرانى ( بطريق ) تألفه بها على الإسلام[٣] .

وفى يوم قال ابن عبد السلام لأحد سلاطين بنى أيوب : ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال السلطان : هل جرى هذا ؟ قال نعم ، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور .

فقال السلطان : ياسيدى أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى ، فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون : ( إنا وجدنا أباءنا على أمة ) فرسم السلطان بإبطال الحانة وسئل الشيخ بعد ذلك ، أما خفته ؟ فقال : والله يابنى لقد استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامى كالقط[٤] .

---

(١) العقد الفريد ١ / ٤٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٧٨ .
(٣) مجلة الشبان رجب ١٣٩٥ .
(٤) طبقات السبكى ٥ / ٨٢ .

فأين نحن مما يوجد فى كثير من بلاد الإسلام من الحانات والمواخير والمراقص التى تنتهك فيها الأعراض ، وترتكب المحرمات ؟ .

# الفصل الخامس

## بيان تفصيلى لبعض أمهات الأخلاق
## وبه عشرة مباحث

١ – الصدق .
٢ – الوفاء بالعهد .
٣ – الأمانة .
٤ – الصبر .
٥ – العدل .
٦ – الحلم .
٧ – الرحمة .
٨ – الإحسان .
٩ – التعاون .
١٠ – الشجاعة فى الحق .

# بيان تفصيلى لبعض أمهات الأخلاق

إن الأخلاق التى ذكرها الله فى القرآن الكريم أو أشار إليها أكثر من أن تحصى فحسبنا ذكر أمهاتها تفصيلا فيما يأتى :

**١ - الصـــدق :**

هو الإخبار بما يطابق الواقع ، وضده الكذب ، وهو الإخبار بما يخالف الواقع والصدق من أهم الأخلاق الكريمة .. وأفضل الصفات الحميدة ، إذ هو أساس كل خير ، ومنبع كل فضل ، وسبيل الفوز والنجاح فى كل الأمور ، وعاقبته السعادة فى الدنيا والآخرة .

ولذا دعا الله إليه ، وبين فضله فى آيات عديدة ، فقال تعالى — إثر بيان قبوله لتوبة الثلاثة الذين تخلفوا عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك - : ( **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** )[١] .

وبين الله أنه سبب الجزاء بالحسنى فقال : ( **ليجزى الله الصادقين بصدقهم** )[٢] وقال مبينا فضله يوم القيامة : ( **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم** )[٣] .

وذكر أنه سبب مغفرة الذنوب والجزاء الحسن بغير حساب فى الآخرة فقال : ( **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين. ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** )[٤] .

(١) سورة التوبة آية : ١١٩ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٤ .
(٣) سورة المائدة آية : ١١٩ .
(٤) سورة الزمر آية : ٣٣ : ٣٥ .

وقال ﷺ : ( **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** ) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه[1] وقال : ( **تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة** ) رواه ابن أبى الدنيا عن منصور بن المعتمر مفصلا ، ورواته ثقات[2] .

وقد كان ﷺ مثلا أعلى فى الصدق حتى شهد له أعداؤه بذلك ، فقالوا له : ( ما جربنا عليك كذبا )[3] ، وقال أبو جهل : ( والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط )[4] ولفضائل الصدق العظيمة فى الدنيا والآخرة حرص أصحابه ﷺ على الصدق والبعد عن الكذب ، ولو كان فى الصدق إزهاق أرواحهم والتضحية بحياتهم ، كما حصل من ماعز ، والغامدية حينما اعترف كل منهما طائعا مختارا بأنه ارتكب ما يوجب حد الرجم ، وطلب إقامته عليه حتى يطهر ، فرجم كل منهما حتى مات .

**والكذب أساس النفاق** : والقاضى على الأخلاق ، هو أساس النفاق فى الإيمان والقول والعمل ، فإن المنافق يزعم أنه يقول بلسانه ما وافق عليه قلبه ويعمل بجوارحه ما انطبعت عليه نفسه ، والواقع أنه يضمر خلاف ما يظهر ، فهو كاذب فى قوله ، ومنافق فى عمله ، يغش الناس ويلبس عليهم أمورهم ، ويضلهم عن طريق الحق والخير .

فالكذب جريمة الجرائم ، وفاحشة الفواحش ، والعاقل لا يرضاه لنفسه ، فإنه إذا عرف الشخص بالكذب احتقره الناس وضاعت ثقتهم فيه ، فهو ميت بين الأحياء تقتحمه أبصارهم وتزدريه نفوسهم .

---

(١) بلوغ المرام ٣٠٧ .
(٢) الترغيب ٣ / ٢٣٢ .
(٣) نور اليقين ٣٦ .
(٤) ابن كثير ٢ / ١٣٠ .

وقد أخبرنا الله فى كتابه الكريم أن افتراء الكذب لا يصدر عن مؤمن فقال تعالى : ( **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** )[1] وقيل لرسول الله ﷺ : ( **أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا** ) أخرجه مالك[2] ونفى الله الفلاح والنجاح عن الكاذب وأعد له العذاب الأليم فقال تعالى : ( **إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم** )[3] .

وذكر سبحانه أنه لا يهدى الكاذب إلى فضيلة ولا يرشده إلى خير ، فقال تعالى : ( **إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** )[4] .

وبين أنه لا يبغض أحدا مثل ما يبغض الكاذب ، ولا يعاقب أحدا بمثل ما يعاقب به الكاذب فقال تعالى : ( **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** )[5] ، وقال : ( **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** )[6] .

**٢ – الوفاء بالعهد :**

العهد : الموثق الذى تجب مراعاته ، والوفاء به : الإتيان به كاملا لا نقص فيه فالوفاء بالعهد : أن ينفذ الإنسان بفعله ما اتفق عليه بقوله ، أو عزم عليه بقلبه ، كاملا غير منقوص ، والعقد فى قوله تعالى : ( **ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ) هو العهد المؤكد .

والوفاء بالعهد واجب مؤكد ، سواء كان بين الإنسان وبين الله أو بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين الناس ، وضد الوفاء بالعهد الخلف .

والوفاء بالعهد من أجل الصفات وأرفعها ، فمن عرف لنفسه حقها وقدرها وأحب أن يحترم بين الناس حرص على الوفاء بعهده ، ومن قدر الناس قدرهم ،

---

(١) سورة النحل آية : ١٠٥ .
(٢) الترغيب ٣ / ٢٣٤ .
(٣) سورة النحل آية : ١١٦ ، ١١٧ .
(٤) سورة غافر آية : ٢٨ .
(٥) سورة الصف آية : ٢ ، ٣ .
(٦) سورة الزمر آية : ٦٠ .

وأهمته مصالحهم وحقوقهم وأوقاتهم لا يخلف لهم وعدا ، ولا ينقض لهم عهدا ، ومن عرف بالوفاء بالعهد واشتهر به أحبه جميع الناس واحترموه ، واكتسب ثقتهم ، فإذا قال صدقوه ، وإذا احتاج أقرضوه ، وإذا كبا أعانوه ، وإذا كان صانعا أو تاجرا أقبلوا عليه وروجوه ، فحفظ وقته ووقت الناس وهو أعلى ما فى الحياة .

لذلك أوجب الله علينا الوفاء بالعهد فقال تعالى : ( **وأفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** )[1] وقال : ( **وأفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** )[2] .

وجعل الموفين به من أهل البر ، وما بعد البر من خير فقال : ( **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** )[3] ، كما جعله من أصحاب العقول القويمة والأخلاق العظيمة ، فى جنات النعيم فقال تعالى : ( **إنما يتذكر أولوا الألباب. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** )[4]، وقال : ( **ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** )[5] .

وترك الوفاء بالعهد لمنفعة شخصية أو لعدم الاهتمام به نكوث عن تعاليم الله وغدر بالوفاء بالعهد ، وذلك من صفات المنافقين ، وأخلاق الفاسقين التى رتب الله عليها نفاق القلوب فقال تعالى : ( **فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون** )[6] .

ونقضه تضييع للثقة ، وسرقة من مصالح المعاهد ، وإخلال بنظام حياته ، ومن اشتهر بذلك صار وجوده كعدمه ، ولذا حذر الله من نقض العهد ولو لمصلحة دنيوية مهما عظمت فقال تعالى : ( **ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون . ما عندكم ينفد وما عند الله باق** )[7] .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٤ .
(٢) سورة النحل آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .
(٤) سورة الرعد آية : ١٩ ، ٢٠ .
(٥) سورة الفتح آية : ١٠ .
(٦) سورة التوبة آية : ٧٧ .
(٧) سورة النحل آية : ٩٥ ، ٩٦ .

وذكر الله أن ناقض العهد ملعون ومأواه النار وبئس القرار فقال : ( **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** )[1] .

وقال ﷺ : ( **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان** ) أخرجه الخمسة إلا النسائى عن ابن عمر[2] .

وقد كان ﷺ مثلا أعلى فى الوفاء بما اتفق عليه حتى قبل بعثته فعن عبد الله بن أبى الحمساء رضى الله عنه قال : ( **بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكان فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو فى مكانه فقال : يافتى شققت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك** ) أخرجه أبو داود[3] .

**٣ - الأمـــانة :**

هى كل ما وكل إلى الإنسان حفظه ورعايته من عقائد وعبادات ، ودماء وأموال ، وأعراض وأسرار ، ومصالح ومنافع . وضدها الخيانة ، وهى التصرف فى الأمانة بغير وجه شرعى ، كجحدها أو إضاعتها أو إتلافها ، أو التهاون فى حفظها .

والأمانة من أخص صفات المؤمنين ، ومن خير ما يتحلى به المرء من الفضائل ، ومن أكرم الأخلاق وأجملها للفرد والجماعة على السواء . وكانت من أبرز صفات نبينا ﷺ قبل البعثة حتى لقب بالصادق الأمين ، ومن أخص صفات يوسف وموسى عليهما السلام فى شبابهما فضلا عن كهولتهما .

ومن عرف بالأمانة أمنه الناس على دمائهم واموالهم وأعراضهم ، ووثقوا به ، وطارت شهرته ، وراجت سلعته .

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٥ .
(٢) تيسير ٣ / ٦٦ .
(٣) تيسير ٣ / ٣٦٩ .

وما انتشرت الأمانة فى أمة إلا نالت منزلة عظيمة بين الأمم ، واختفت منها الجرائم والشرور ، وانتشر فيها الأمن والطمأنينة ، وانطلق كل فرد فى عمله بجد وإخلاص آمنا مطمئنا ، فتنمو الثروة وينتشر الرخاء ، وتسود المحبة ويعم الهناء ولفضل الأمانة وعموم خيرها أوجب الله علينا القيام بها فقال تعالى : ( **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** )[1] وقال ﷺ ( **أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك** ) رواه أبو داود والترمذى[2] .

وقال الله مشجعا على حفظها ، ومبينا الجزاء العظيم للقائمين بها : ( **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** )[3] وكفى بذلك فخرا وتكريما .

وخيانة الأمانة ظلم لصاحبها ، ونزع للثقة من نفوس خائنها وهى نوع من السرقة ، ومن أخص صفات المنافقين ، وشيمة المفسدين ، ولذا حذرنا الله منها فقال تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** )[4] .

وأخبر الله أنه لا ينجح للخائنين تدبيرا فقال : ( **وأن الله لا يهدى كيد الخائنين** )[5] وأنه لا يحبهم فلابد من إهلاكهم بالعذاب فقال : ( **إن الله لا يحب الخائنين** )[6] .

ونفى الرسول ﷺ عنهم الإيمان فقال : ( **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له** ) رواه الطبرانى عن ابن عمر[7] .

وجعل الرسول ﷺ الكذب وخلف الوعد ، وخيانة الأمانة آية المنافقين

(١) سورة النساء آية : ٥٨ .
(٢) كنوز الحقائق ٦ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٨ : ١١ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٢٧ .
(٥) سورة يوسف آية : ٥٢ .
(٦) سورة الأنفال آية : ٥٨ .
(٧) الترغيب ٣ / ٢٤٧ .

فقال : ( **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان** ) رواه الشيخان عن أبي هريرة[1] .

**٤ - الصبر :**

هو حبس النفس على ما تكره ، أو تحمل المرء لما ينزل به من المكاره والآلام بعقيدة ثابته وإيمان راسخ ، ونفس مطمئنة راضية بقضاء الله وقدره . وضده الجزع وهو الاضطراب والهلع عند نزول المكاره .

والصبر خلق الأخلاق وقوام النجاح والفلاح فى الأعمال ، والظفر بأجر لا يحصيه العد ، ولذا أكد الله الأمر به وأكثر من الحث عليه والتواصى به والترغيب فيه فيما يقرب من سبعين آية فقال تعالى — مبينا أنه سبب النجاح والفلاح فى كل الأمور — : ( **يأأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** )[2] وقال : ( يأأيها الذين آمنوا اصبرو وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون )[3] وقال : ( **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )[4] ولذا قال الشاعر :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال تعالى — مبشرا بثوابه العظيم وأجره الكبير — : ( **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** )[5] .

وذكر أن ثوابه لا يحصيه العد ولا يقدر بقدر فقال تعالى : ( **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** )[6] .

والجزع مجلبة للهم والغم ، والأضرار الجسمية والعقلية ، وسخط على قضاء الله وقدره وضياع للأجور العظيمة ، والتكريمات الكبيرة ، ولذا ذمه الإسلام

(١) اللؤلؤ ١ / ١٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٣ .
(٣) آخر سورة آل عمران .
(٤) سورة العصر .
(٥) سورة البقرة آية : ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٦) سورة الزمر آية : ١٠ .

وحذر منه ، فقال تعالى : ( **إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا** )[1] وقال : ( **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط** )[2] .

وقال ﷺ : ( **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[3] .

**٥ – العـــدل :**

هو إعطاء كل ذى حق حقه ، فهو مساواة تامة بين المتماثلين فى الحقوق والواجبات ، وضده الظلم ، وهو انتقاص الحقوق بلا مبرر ، والجور أيضا ضد العدل ،والتحيز أيضا لا يتفق مع العدل ، ومعنى التحيز ميل الإنسان لأحد المتساويين ميلا يدفعه إلى أن يعطيه أكثر مما يستحق ، وهو إذا فعل ذلك فإنه ينقص الطرف الآخر بعض ما يستحق ، وهذا ضد العدل تماما ، لأنه الجور بعينه .

وبالعدل قامت السموات والأرض ، ولذا أوجبه الله فى القول والفعل والشهادة والحكم والنصيحة ، والمشورة والفتيا والتعلم ، وفى كل شىء طريقه العدل ولو كان ضارا بذوى القربى والصداقة أو بالنفس قال تعالى :

( **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** )[4] وقال :

( **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن**

(١) سورة المعارج آية : ١٩ : ٢١ .
(٢) سورة فصلت آية : ٤٩ .
(٣) بلوغ المرام ٣٠٨ .
(٤) سورة النساء آية : ٥٨ .

**تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** )[1] وقال : ( **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** )[2] .

ويفرض الإسلام العدل على أهله حتى فى المواطن التى تغلى فيها النفوس بالغضب وتطيش الأحلام من أعداء الإسلام فيقول الله تعالى : ( **ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** )[3] .

ويقول عز وجل : ( **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** )[4] ، ويقول : ( **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** )[5] .

وقال : ( **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** )[6] .

وهكذا أوجب الله على كل مؤمن التزام العدل والحق والإنصاف وألا يتأثر بكراهية أو بغضاء ، أو بعاطفة غضب ، أو لحمة قربى ونسب أو عصبية دين أو مذهب أو جنس ، ولو أقيم العدل ـ وهو قوام الأخلاق ـ بين أمم الأرض لاختفت الأحقاد والروح المادية الشرسة التى تدفع الأمم إلى التقاتل وجمع المال للغلبة والقهر ،لا للانتفاع بخيرات الأرض ، ولعمت الطمانينة والأمن كل أمم الأرض .

ولمزايا العدل الكثيرة وثمراته العديدة رغب فيه الإسلام وحث عليه ، فقال تعالى : ( **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** )[7] وقال ﷺ ( **إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن — عز وجل — وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا** ) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو[8] .

(١) سورة النساء آية : ١٣٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .
(٣) سورة المائدة آية : ٢ .
(٤) سورة المائدة آية : ٨ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٩٠ .
(٦) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٧) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٨) ق ١٢ / ٢١١ .

وقد شدد الله على الظلم والظالمين ، وحمل عليهم حملة شديدة ، وبين أن عاقبته وخيمة ، وأن نهاينه الهلاك الأليم والأخذ الشديد فقال تعالى : ( **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا** )[1] وقال : ( **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** )[2] .

وذكر الله أنه لا يظلم أحدا شيئا ولو قل فقال : ( **إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** )[3] وقال : ( **إن الله لايظلم مثقال ذرة** )[4] .

وأنه تعالى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده فقال تعالى ــ فى الحديث القدسى ــ : ( **ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[5] .

وإذا كان الله لا يظلم والخلق خلقه ، وهو القاهر فوق عباده ، **فهل يليق** بالبشر أن يظلموا ولا يعدلوا ، والعدل لمصلحتهم ومنفعتهم ، والظلم ضرر عليهم وعاقبته هلاكهم ؟ .

وذكر الله أن المعتدى ظالم لنفسه بظلمه لغيره فقال : ( **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** )[6] وأن الظالم لا يفلح فقال : ( **إنه لا يفلح الظالمون** )[7] ، وأنه لا نصير له فقال : ( **وما للظالمين من نصير** )[8] .

وأنه توعد الظالمين بأشد العقاب وأقسى العذاب فقال تعالى : ( **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين**[9] **مقنعى رءوسهم**[10] **لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**[11] )[12] وقال : ( **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** )[13]

(1) سورة يونس آية : ١٣ .
(2) سورة هود آية : ١٠٢ .
(3) سورة يونس آية : ٤٤ .
(4) سورة النساء آية : ٤٠ .
(5) بلوغ المرام ٣٠٣ .
(6) أول سورة الطلاق .
(7) سورة الأنعام آية : ٢١ .
(8) سورة الحج آية : ٧١ .
(9) مسرعين .
(10) رافعى رءوسهم إلى السماء .
(11) خالية من العقل لفزعهم .
(12) سورة إبراهيم آية ٤٢ ، ٤٣ .
(13) سورة الشورى آية : ٤٢ .

٦ - الحـــلم :

هو صفة تقتضى ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب تفضلا لا عجزا ، وجمعه أحلام وضده الغضب .

والحلم من أمهات الأخلاق ، وأكرمها وأسماها ، وأكثرها فضلا وبرا بالمجتمعات ، وهو ضرورى لمن أراد أن يعيش عيشة هنيئة موفور الكرامة ، رفيع المنزلة محبوبا من أهله ومجتمعه وأمته ، فإن الإنسان فى هذه الحياة معرض . ولابد لأمور يكرهها ولا سبيل للتخلص منها إلا بالحلم .

ولذا كان من صفات المرسلين ، ومن سمات المتقين ، قال تعالى — مخاطبا رسولنا — ( **وإنك لعلى خلق عظيم** )[1] أى وإنك تمكن من كل مكارم الأخلاق ، وفى الذروة منها ، وفى مقدمتها الحلم ، وقال : ( **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** )[2] .

وقال عن الخليل إبراهيم ﷺ : ( **إن إبراهيم لأواه حليم** )[3] ، وقال عن إسمعيل حين بشر به أباه : ( **فبشرناه بغلام حليم** )[4] .

ولكثرة فوائده ومزاياه أكد الله مطالبة الرسول ﷺ بالثبات عليه والزيادة فيه فقال : ( **فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين** )[5] ، كما أكد مطالبة هذه الأمة به فقال : ( **فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير** )[6] .

وجعله من مؤهلات دخول الجنة فقال تعالى : ( **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** )[7] .

---

(١) سورة القلم آية : ٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .
(٣) سورة التوبة آية : ١١٤ .
(٤) سورة الصافات آية : ١٠١ .
(٥) سورة المائدة آية ١٣ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٩ .
(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٣ ، ١٣٤ .

وقد حث النبى ﷺ على الحلم فقال : ( **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة[1] ، وقال ﷺ لأشج عبد القيس : ( **إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة** )[2] رواه مسلم عن ابن عباس (ض)[3] وقال : ( **إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله** ) رواه الشيخان عن عائشة (ض)[4] . وهكذا يدعو الإسلام إلى ضبط النفس وعدم الغضب ، وإلى العفو والصفح إذا اقتنع بذلك الخصم ولم يعتبره ذلا وضعفا ، وإلا فللحلم حد ، فإذا رأى الإنسان كرامة تهان ، أو عرضا ينتهك ، أو حقا يضيع فلا يعد السكوت على ذلك حلما ، بل يجب الوقوف فى وجوه الظالمين ، والشدة والغلظة على الجناة الآثمين ، والطغاة المفسدين ، وما أروع قول نابغة بنى جعدة :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

**٧ - الرحمة :**

**هى من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف ، تقتضى الإحسان إلى المرحوم** ، فالرحمة صفة حميدة تقتضى الإحسان إلى الخلق ، وتقديم الخير إلى الغير وقد سمى الله بها نفسه فقال : ( **لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** )[5] وابتدأ بها كتابه الكريم ،وجعلها فى مفتتح كل سورة منه ، وثناها فى أم القرآن التى نتلوها فى كل ركعة نصليها لتذكرنا بالخير ، وتبعث فينا الإحسان إلى الغير ، فقال تعالى : ( **بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم** ) .

وما ذكر الله نفسه باسم من أسمائه ولا نعتها بصفة من صفاته بقدر ما ذكرها بالرحمة فيما يربو على مائتى آية من القرآن .

---

(١) اللؤلؤ ٣ / ١٩٩ .

(٢) التثبت وترك العجلة .

(٣) ق ١ / ١٨٩ .

(٤) رياض الصالحين ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

وسمى بها رسوله ﷺ فقال : ( **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** )[1] ، ومدحه بها فى قوله تعالى : ( **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** )[2] .

وأمر بالتواصى بها فقال : ( **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** )[3] ، وكتبها لمن قام من هذه الأمة بفرائض دينه فقال : ( **ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى** )[4] .

وامتن الله بها على الأزواج فقال تعالى : **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** )[5] .

ونعت بها المؤمنين الأولين فقال : ( **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** )[6] .

وقال ﷺ : ( **من لا يَرْحم لا يُرحَم** ) رواه الشيخان عن أبى هريرة[7] .

وإذا كانت الرحمة إسما من أسمائه تعالى ، وصفة من صفات رسوله ﷺ وخلقا بارزا من أخلاق المؤمنين الأولين ، وشعارا من شعارات الإيمان والراحمون يرحمهم الرحمن ، ومن لا يرحم لا يرحم ، وجب أن نكون رحماء وأن نكون متحابين متوادين،وأن نكون صورة صادقة لقول الرسول الكريم:(**ترى المؤمنين فى تراحمهم ، وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى** ) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير[8] .

ومن ترك الرحمة إلى القساوة قست عليه الخليقة ، ومنع الله عنه رحمته وبره ، فعاش فى الدنيا معيشة ضنكا ، وأعد الله له فى الآخرة الهلاك الشديد ، والعذاب

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٧ .
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨ .
(٣) سورة البلد آية : ١٧ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٥) سورة الروم آية : ٢١ .
(٦) آخر سورة الفتح .
(٧) اللؤلؤ ٣ / ١٠٣ .
(٨) اللؤلؤ ٣ / ١٩٦ .

الأليم ، قال تعالى : ( **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين** )[1] .

### ٨ - الإحســـان :

هو الإتيان بالعمل على الوجه اللائق ، وقد عرفه النبى ﷺ بقوله : ( **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** )[2] .

والعبادة على هذا النحو لابد أن تكون عامرة بالإخلاص والمراقبة لا يشوبها الرياء ولا يقصد بها النفاق ،وقال الراغب : والإحسان يقال على وجهين : أحدهما - الإنعام على الغير ، يقال أحسن إلى فلان ، والثانى : إحسان فى فعله ، وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسنا ، وعلى هذا قول أمير المؤمنين (ض) ( الناس أبناء ما يحسنون ) أى منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة . قوله تعالى : ( **الذى أحسن كل شىء خلقه** )[3] .

والإحسان أعم من الإنعام ، قال تعالى : ( **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** )[4] وقوله تعالى : ( **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** )[5] فالإحسان فوق العدل ، وذاك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد على العدل ، فتحرى العدل واجب ، وتحرى الإحسان ندب وتطوع ، وعلى هذا قوله تعالى : ( **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** )[6] ، وقوله ــ عز وجل ــ : ( **وأداء إليه بإحسان** )[7] .

ولذلك عظم الله ثواب المحسنين فقال تعالى : ( **وإن الله لمع المحسنين** )[8] وقال : ( **إن الله يحب المحسنين** )[9] ، وقال تعالى : ( **ما على المحسنين من سبيل** )[10] وقال : ( **للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة** )[11] . أ . هـ .

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٢ .
(٢) اللؤلؤ ١ / ٢ .
(٣) سورة السجدة آية : ٧ .
(٤) سورة الإسراء آية : ٧ .
(٥) سورة النحل آية : ٩٠ .
(٦) سورة النساء آية : ١٢٥ .
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٨
(٨) آخر سورة العنكبوت .
(٩) سورة البقرة آية : ١٩٥ .
(١٠) سورة التوبة آية : ٩١ .
(١١) سورة النحل آية : ٣٠ .

وأكد الله الأمر بإتقان العمل وبمساعدة كل محتاج فقال تعالى : ( **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** )[1] ، ومدّ الله مظلة الإحسان والبر إلى غير المسلمين ماداموا لم يقاتلونا فى الدين ، ولم يتعرضوا لنا بالأذى فقال تعالى : ( **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** )[2] .

**٩ – التعـــاون :**

مأخوذ من العون ، وهو المعاونة والمظاهرة ، والتعاون على جلب الخير ودفع الشر ، والتكاتف فى كل عمل نافع من أهم الأخلاق الاجتماعية الكفيلة بإسعاد المجتمع والحفاظ على كيانه واستقلاله ، وهو قوام النجاح والفلاح فى الأعمال الدنيوية والأخروية .

ولذا أمر الله بالتعاون على فعل الخيرات وعمل الصالحات ، واتقاء المضار والآثام ، وحذر من التعاون على المعاصى وتعدى حدود الله ، وتوعد من خالف ذلك بأقسى العقاب وأشد العذاب فقال تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** )[3] .

وذكر الله — على لسان موسى عليه السلام — فضل التعاون على تحصيل النفع العظيم ودفع الضر الكبير فقال : ( **واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى** )[4]

وعلى لسان ذى القرنين فقال : ( **فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما** )[5] .

وهدد الله من يتعاون على الأذى بتكوين جبهة قوية تصد أذاه ، وتبطل كيده ، فقال تعالى : ( **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** )[6] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٥ .
(٢) سورة الممتحنة آية : ٨ .
(٣) سورة المائدة آية : ٢ .
(٤) سورة طه آية : ٢٩ : ٣٢ .
(٥) سورة الكهف آية : ٩٥ .
(٦) سورة التحريم آية : ٤ .

ورمى المدعين للتعاون فى غير موضعه بالظلم فى الحكم ، والاعتداء على الحق ، ومجيئهم بزور لا دليل عليه ، فقال تعالى : ( **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا** )[1] .

وبيّن الله فضل التعاون على الخير ، وحذر من التخاذل والتنازع فقال : ( **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** )[2] .

وأكد ﷺ ذلك فقال : **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** ) رواه الشيخان عن أبى موسى[3] ، وقال : ( **لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا** ) رواه البخارى عن ابن مسعود[4] .

**١٠ - الشـجاعة :**

**هى مواجهة الأخطار وتحمل الآلام عند اللزوم فى ثبات ، ثم العمل على الخلاص من هذه الأخطار ، والتغلب على تلك الآلام .**

**أو هى ألا يجبن الإنسان ، أو يستسلم لما يعتريه أو يعترى معاشريه ، أو ذويه من مصائب الحياة .** وضد الشجاعة الجبن ،

والشجاعة فى الحق من أهم الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التى ترفع شأن البشرية ، وتوجهها التوجيه الذى يسمو بها إلى درجة الكمال ، والمكانة العالية فى الدنيا والآخرة .

والشجاعة فى الحق هى الدفاع عن المبادئ الحقة ، والقضايا العادلة ، وهى وليدة العقيدة الراسخة والإيمان الصادق ، فهى تلزم صاحبها الوقوف أمام مدلهمات الأمور بقلب ثابت ، ونفس أبية ، وإرادة قوية ، ويقين لا يتزعزع .

(١) سورة الفرقان آية : ٤ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٥ ، ٤٦ .
(٣) اللؤلؤ ٣ / ١٩٥ .
(٤) ف ٣ / ٢٤٢ .

فالشجاع صريح عادل يقول كلمة الحق ولا يخشى فى ذلك لومة لائم ، ولا يحابى ولا يجامل على حساب المصلحة العامة ، وإذا كان من ذوى الرأى والفكر فى أمة أبدى رأيه وأعلن ما يعتقد صحته وصوابه فى صراحة وجرأة مهما كلفه ذلك من عنت ومشقة ، ومعارضة الغير له ووقوفه ضده ، فقد قال ﷺ : ( **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** ) رواه الترمذى[1] .

والشجاع قوى القلب صلب العود عالى الهمة ، يدافع عن عرضه ودينه ، ووطنه وماله ولا يرهب عدوا مهما كان عدده وعتاده .

والشجاع فى الحق يخوض غمار الحرب ولا يخشى بأسا ، ولا يفزعه قصف المدافع ، ولا أزيز الطائرات ، ودوى القنابل ، ولا يتخلى عن مكانه فى الجهاد إلا منتصرا أو مستشهدا .

والشجاع فى الحق يتقمص الفدائية ، ويعيش أسدا فى العراء يتلقى لهيب الصيف وزمهرير الشتاء ، ويتنقل فى أرض الموت يدمر الحصون ، ويفتك بالأعداء ، ولا يبالى إن وقع على الموت أو وقع عليه الموت .

والشجاع فى الحق إن كان طبيبا يغامر بحياته فى مكافحة الأوبئة والأمراض المعدية ، ولا ينصرف عن أداء واجبه ولو كان الموت له بالمرصاد .

وإذا كان من رجال الإسعاف يخاطر بحياته لنجاة من أشفوا على الهلاك ، ويقتحم النيران لإنقاذ الحريم والولدان .

وإذا كان عاملا أدى واجبه على الوجه الأكمل ، لا يعرف الكسل ، ولا التواكل ، وإغراء الراحة ، ولا ينتظر من الناس جزاء ولا شكورا .

والشجاع فى الحق يتحمل نكبات الحياة وألوان البلاء ، وخيبة الآمال غير هلوع ولا جبان ، بل متذرع بالصبر فى رضا واطمئنان .

---

(١) كنوز الحقائق ٢٠ .

وإذا حورب فى إيمانه ، واضطهد فى دينه لا يضعف إيمانه ، ولا يتزعزع يقينه ولو صب عليه العذاب حتى الموت مادام ذلك فى سبيل الحق ، بل شعاره ما قاله سلفه :

ولست أبالى حين أقتل مسلما    على أى شق كان فى الله مصرعى

ولفضائل الشجاعة التى لا تقف عند حد حث الله عليها ، وحذر من الخوف والجبن والوهن فقال تعالى : ( **فلا تخشوهم واخشونى** )[1] وقال : ( **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** )[2] وقال : ( **ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** )[3] .

وشجع عليها بقوله : ( **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم** )[4] ، وقال عن موسى — عليه السلام — : ( **وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها**[5] )[6]، وقال لقومه : ( **خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** )[7] وقال : ( **يا يحيى خذ الكتاب بقوة** )[8] .

وذكر إعتزاز الأمم بها فقال — على لسان قوم بلقيس — : ( **نحن أولو قوة وأولو بأس شديد** )[9] ، وعلى لسان ذى القرنين : ( **فأعينونى بقوة** )[10] .

وقال ﷺ : ( **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** ) رواه مسلم عن أبى هريرة[11] . وعن أنس بن مالك (ض) قال : ( **كان نبى الله ﷺ يقول : اللهم**

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٩ .
(٣) سورة محمد آية : ٣٥ .
(٤) سورة التوبة آية : ١٤ ، ١٥ .
(٥) بأفضل ما فيها .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٤٥ .
(٧) سورة الأعراف آية : ١٧١ .
(٨) سورة مريم آية : ١٢ .
(٩) سورة النمل آية : ٣٣ .
(١٠) سورة الكهف آية : ٩٥ .
(١١) بلوغ المرام ٣٠٨ .

**إنى أعوذ بك من العجز**[1] **والكسل**[2] ، **والجبن**[3] **والهرم**[4] .. ) الحديث رواه الشيخان[5] ، وعلّم ﷺ أبا أمامة أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى : ( **اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** ) رواه أبو داود عن الخدرى(٦) .

وحسبها فضلا أن بها ينتصر الحق ، وأنها كانت من أخص صفات نبينا ﷺ فعن أنس قال : ( كان النبى ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ) رواه الشيخان(٧) .

هذا وقد تم بفضل الله وتوفيقه ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) عدم القدرة .
(٢) التثاقل والفتور والتوانى عن الأمور .
(٣) ضعف القلب .
(٤) أقصى الكبر .
(٥) اللؤلؤ ٣ / ٢٢٩ .
(٦) تيسير ٢ / ٢٢ .
(٧) اللؤلؤ ٣ / ٩٩ .

## تصويب أخطاء كتاب القرآن الكريم
## منهجه ووسائله فى التربية الأخلاقية

| صفحة | سطر | خطـــأ | صـــواب |
|---|---|---|---|
| ١٠ | ١٢ | كما سبق ذلك | كما يأتى ذلك |
| ١٠ | ١٢ | الباب السابق | العبادات |
| ٢٢ | ٣خ | مادموا | ماداموا |
| ٣١ | ١٠خ | المرون | المرونة |
| ٣٣ | ١١ | والوالْدان | والولْدان |
| ٣٩ | ٢خ | إن بعد | إن بعض |
| ٥٣ | ٥خ | التقالطع | التقاطع |
| ٦٤ | ٤خ | وأن يحذروهم | ٤ - وأن يحذروهم |
| ٧٥ | ١٥ | لا نأخذه | لا تأخذه |
| ٧٩ | ١ | لإنه | لأنه |
| ٨٠ | ٣ | وقوله : | ١٤ - وقوله : |
| ٨٢ | ٩ | ولا كفارون | ولا كفارون |
| ٨٣ | ٣هامش | رفعه | دفعه |
| ١٠٠ | ٢خ | (فلما نسوا | وقال تعالى : (فلما نسوا |
| ١٠٧ | ١١ | وما رواه مسلم | ٢ - وما رواه مسلم |
| ١١٧ | ٩ | فى مكان | فى مكانه |
| ١٢٣ | ٩ | لتمكن | لمتمكن |

# من مؤلفاتنا المطبوعة

١ – الكواكب الدرية فى فقه المالكية أربعة أجزاء تشتمل على الفقه المالكى المدعم بالأدلة من الكتاب والسنة من بدايته إلى نهايته .
٢ – تفسير الربع الأول والثانى من سورة النساء مع بيان حكمة التشريع .
٣ – وسائل النصر من الكتاب والسنة .
٤ – رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم .
٥ – حول عصمة يوسف الصديق عليه السلام .
٦ – سلطان العلماء وبائع الأمراء العز بن عبد السلام .
٧ – الخمر والميسر والمسكرات وأضرارها بالأفراد والمجتمعات .
٨ – الزنى : أضراره ومفاسده ووسائل الوقاية منه .
٩ – عظمة القرآن ودعوته إلى الخير والكمال .
١٠ – محاسن الإسلام فى قصة .

# كتب معدة للطبع

١ – وفاء التشريع القرآنى بحاجات البشر ، وهو موضوع رسالة الدكتوراة فى جزأين بهما أكثر من ألف ومائتى صفحة ، والغرض منه الرد على حملات التبشير والملحدين المكثفة وطعونهم فى الإسلام ، وبيان محاسن التشريع القرآنى ، وأنه شامل وكامل ، وصالح لكل زمان ومكان ، ودعوة المسلمين إلى تحكيمه فى سائر شئونهم .

٢ – الرق فى الإسلام أوصل الموالى إلى الذروة والكمال فى كل مجال .

٣ – التوحيد وكلمته عزة وكرامة ، والشرك وعقيدته مذلة ومهانة .

٤ – القرآن الكريم : دعوته إلى التكافل والتناصر .

٥ – المحكم والمتشابه فى القرآن وحكمة وجود المتشابه .

٦ – المعاهدات فى الإسلام ووجوب الوفاء بها .

٧ – سماحة التشريع القرآنى ويسر تكاليفه .

٨ – وفاء التشريع القرآنى بالأمور الاعتقادية .

٩ – حول المرأة وحقوقها وتكريم الإسلام لها .

١٠ – الإسلام ونظام الأسرة .

١١ – العيد الأسبوعى أو يوم الجمعة .

# الفهـرس

| الموضـــــوع | صفحة |
| --- | --- |